

الإهداء

إلى أبناء أبونا إبراهيم في كل مكان

أولاد إسماعيل..... وأولاد إسحاق

أولاد هاجر الجميلة..... وسارة الحبيبة

حان الآن أن يجتمعوا.. أن يتحدوا أولاد إبراهيم المتفرقين..

من ذا الذي يقدر أن يجمع المتفرقين إلى واحد؟

من ذا الذي يقدر أن يغير القلوب.. ويجدد الأرواح..

فتصير منبعاً للسلام.. للرحمة.. وللحب؟

من ذا الذي يقدر أن يصلح الأرض بالسماء..

ويصلح الإنسان بذاته..

ويصلح الإنسان بأخيه الإنسان؟

من هذا العظيم؟.. غير إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

هلم أبناء إبراهيم.. هلموا نثور ونسبح ونبني ونحب.

مقدمة

كما عاد الابن الضال لأبيه.. بعد فترة من الضياع والضلال والتهيه.....

يعود هذه الأيام إسماعيل إلى حضن إبراهيم أبيه..

بل يعود لحضن يسوع المسيح الموجود قبل حضن أبيه إبراهيم.. بل قبل تأسيس العالم..

يعود إسماعيل للذي أتى من السماء وتجسد لأجله..

نعم الهي ومخلصي يسوع.. أتيت لتبشر المساكين.. لتعصب منكسري القلوب.. لتنادي للمسيبين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق.. لتعزي النائحين.. لتعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد.. وفرح عوضاً عن النوح.. ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة.....

أتيت لنبني الخرب القديمة.. لنجدد المدن الخربة.. لنبشر بالحرية والسلام، بالشفاء والحب .
لقد أتيت يا الهي ومخلصي للجميع..

وها نحن أبناء إسماعيل عشنا سنيماً نجهلك.. لا نعرفك.. وفي كثير من الأوقات كنا ننكرك، ونحاربك.. بل نعاديك .

ولكن محبتك التي تفوق كل عقل وكل خيال وكل عدا.. وجدتنا.. وهدتنا.. رحمتنا.. وقدستنا..

محبتك مخلصي أعادتنا اليك كالضال إلى حضن أبيه.. كلقيط إلى حضن أمه.. كغريق إلى سفينة الخلاص.

ها نحن الهي ومخلصي بحثنا عنك فوجدتنا.. سألتنا فأجبنا.. صليتنا لك فسمعت صلاتنا واستجبت لنا.. أحببتنا أولاً..

ها نحن الآن لسنا عبيداً بل بنون.. لسنا أسرى بل أحرار.. لم نعد أشرار بل أصبحنا أبرار..

أصبحنا مثلك نحب الجميع.

لذلك ها نحن أبناء إسماعيل ابن أبونا إبراهيم خليل الله، قررنا أن نعلن للجميع في هذا الصفحات القليلة حبنا.. عشقنا.. خضوعنا.. وانتماءنا لك.. فنحن الأغصان وأنت الكرمة.. فنحن العروس وأنت عريسها.. نحن مدينتك وأنت مليكها.. إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

الإمضاء:

أبناء إسماعيل

مقدمة ضرورية للموضوعات الإسلامية

عندما نستشهد بالإسلام (القرآن والسنة) لم ولن نبتغي سوى وجه الله سبحانه وتعالى، ولكن ما اردنا قوله هو محاولة لقراءة القرآن والسنة بعين نزيهة وعادلة لكي نوضح لإخواننا، أصدقائنا واهلنا المسلمون، ان الموقف العدائي المأخوذ ضد المسيحية الحقيقية هو موقف غير موضوعي وغير عادل..

فنحن المسيحيون نؤمن بالله واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، وهذا هو ايماننا قبل الأسلام بما يقارب 630 سنة.

ونؤمن بالتوراة وبكل النبوات التي تنتبأ بميلاد المسيح العذراوي، حياته وصلبه، موته وقيامته (وعدد هذه النبوات تصل الى حوالي 300 نبؤه موجودة قبل المسيح بألاف ومئات السنين) ونؤمن أن الله احب العالم كله باشراره وابراره، وهذه المحبة العظيمة ظهرت جلية وواضحة عندما تجسد الله .

ونؤمن ان يسوع المسيح هو الله الظاهر في الجسد، وهو الألف والياء، البدايه والنهايه له كل المجد.

ونؤمن بأن الوحي قد أنتهى بانتهاء الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد)، ونؤمن أن إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح سيأتي في آخر الأزمنة ليدين العالم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك الذي ينتظره الجميع .

من وطن المسيح يعود أبناء إسماعيل

في بلاد المسيح ولدت.. فلسطين الحبيبة

نحن ما يدعى علينا عرب الضفة ولدت في أواخر الخمسينات تحت سقف الاحتلال..

عشت في وطن ليس بوطني (ولكن من منا يختار ميلاده أو كفته).

عائلتي مكونة من سبعة أولاد و أربعة بنات ، مات أبى وأنا في الثامنة من عمري..

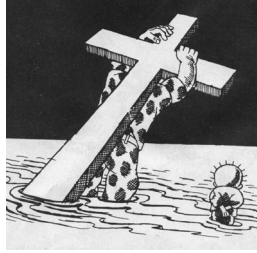
ليكتمل الحزن في قلبي (بميلاد بلا وطن.. وطفل بلا أب)

وكأن السماء تتاصبني العدا.. أظن أن زمان الطفولة هو الذي يشكل اله كل منا ، أتخيل أنكم بدأتم تشكلوا معي ملامح الهي.

قريتي كانت بجوار القدس.. بجوار (أورشليم)

أورشليم.. راجمة الأنبياء وقاتلة المرسلين.. وميمنة الأطفال الفرحين..

وصالبة المسيح وفلسطين



عندما تولد في القدس تصبح فدائي قد تم ترويضه، وطفل ليس كأطفال الحجارة الثوريين، ولكن من يقدر ان

يسجن الروح والقلب، لا الزنازين تقدر أن تفعل ذلك.. ولا أقوى احتلال..

لذلك كنت احمل قلب أطفال الحجارة.. روح أطفال الحجارة.. ثورة أطفال الحجارة

رغم إنني لم أرى في قريتي مظاهرة واحدة أو أي نوع من انتفاضة.

لكن أتذكر وأنا طفل كنت اسبح في خيالي وفي أحلام اليقظة، التي كنت أتخيل فيها أنني أحرر فلسطين وكانت

أحلام التحرير في خيالي تنتهي دائما باستشهادي.

بالحق كنت طفل فلسطيني بكل معنى الكلمة بالرغم من محاولة الاحتلال بمسح الشباب العربي لكي ينسوا

جنورهم، وطنهم وبكاء أمهاتهم.

وبالفعل اصبح الحزن لنا لغة تعلمناها منذ الطفولة، عاجزون في كل شيء ومحاصرون، في لقمة العيش، في

المسكن، في المدرسة وفي الشارع، نحن لسنا كأطفال اليهود، التفرقة واضحة في كل شيء وتمييز المحتل واضح

لنا مثل وضوح الشمس (فشعب يفرق بين يهودي شرقي ويهودي غربي، كيف لا يفرق بينه وبيننا).

كل هذه الأشياء كانت تشكلني وتشكل إيماني بالله الذي كان بالنسبة لنا الملجأ الأول والأخير ، فأنا كنت أصلي وأصوم إلى سن 15 سنة لكن ماذا كانت النتيجة..

ما الذي حدث.. هل حدثت معجزة فأصبحنا غير محتلون!!!

هل عاد لنا وطننا!!!

هل أقام الهي شهدائنا من القبور!!!

هل أعاد لنا أفراننا التي ضاعت وأوقف نزييف دمائنا!!!

هل أعاد المنفيين إلى أوطانهم!!!

وهل.. وهل.. وهل... ملايين من علامات الاستفهام تفجرت في داخلي ضد قدرنا الذي حكمت به السماء علينا لماذا الموت والإبادة، النفي والسجن يكونوا مصيرنا نحن دون باقي الشعوب، هل هذه هي مشيئة السماء!!! وكانت الإجابة بداخلي.. نعم!!

وبالتالي رفضت هذا القدر وهذا المصير وهذا الإله، وعشت أربع سنوات لا أؤمن بالله.. كفر صريح (يسكن في القلب ويعلمه اللسان والعمل) وبالتالي فقدت حياتي معناها وتلاشت كل القيم والمبادئ في داخلي، وبالفعل ارتكبت كل الخطايا والذنوب الكبائر منها والصغائر الى ان حدث شيء كان بداية لتغيير حياتي، و هو تعرفي على أنسة فنلندية اسمها " تينا" كانت موجودة في القدس لمدة سنة تعرفنا وأصبحنا أصدقاء ، فهي ليست ككل البشر التي تقابلهم كل يوم، بل على العكس هي هذا النوع النادر الوجود الذي اذا تعرفت عليه لا تقدر ان تنساه، انسانة بمعنى الكلمة تشع حيوية ولها حضور خاص بها، حضور يشعرك بانك مهم وانك إنسان متحضر وان الوقت غالي، نعم هي بالحقيقة المرأة التي معها تشعر ان كل شيء تحول واصبح له معنى وقيمة في لحظة. وتينا لا تتكلم فقط اللغة الفنلندية بل تتكلم أيضاً اللغة السويدية، الألمانية والإنجليزية بطلاقة. وكانت دائماً تقول انه لا يوجد وجه مقارنة بين ربيع وصيف فنلندا وربيع القدس حيث الحدائق الخلابة والحقول المزهرة ، وبدأت تينا تشعر بعدم الرضا لأنها بدأت تنجذب لشخص مسلم، فهي تعلم بأن عائلتها عائلة محافظة وملتزمة بالديانة المسيحية جداً ولن يقبلوا أي تطور شرعي لهذه العلاقة، و بدأت تينا تخطط للعودة لفنلندا، وكان هذا بعد عام لبقائها في القدس الذي مر علينا وكأنه يوم. وأنا أيضاً بدأت أخطط للسفر إلى فنلندا فابتهجت تينا لقراري هذا. وبالفعل سافرت إليها وكان ذلك في يوليو 1979، وكانت تينا هي مرشدي السياحي. وأتذكر تلك الزيارة اذ كان استقبال العائلة لي دافيء، ولكن حدث شيء لا أقدر أن أنساه، فقد نسيت والدة تينا أنني مسلم فأعدت عشاء فاخر بلحم كانت رائحته شهية وذات مذاق خاص جداً، لدرجة أنني لم أقدر أن أخفي فضولي لمعرفة نوع هذا اللحم وكيفية إعداده، وأظهرت لوالدة تينا عن إعجابي الشديد بالعشاء وخاصةً هذا النوع من اللحم، وأجابت هي بكل بساطة وتلقائية إجابة نزلت علي كالصاعقة!! أنه لحم خنزير!!!

وهنا خيم الصمت القاتل على الجلسة وشعرت أن وجهي ساخن من شدة المفاجئة، ولكني حاولت وبدبلوماسية أن أعبّر ذلك الموقف الرهيب الذي جعلني لا أكل هذا اللحم النجس (لكنه الرائع المذاق)!!! ولأول مرة بادر ذهني هذا السؤال: لماذا يحرم الله لحمًا هو خلقه؟ ولأول مرة بدأت أشعر بأن الحرام هو ما توارثناه دون فحص أو تمحيص!

وعندما تكلمت مع تينا بخصوص ذلك الأمر قالت لي ما أذهلني: أن الرب يسوع المسيح قال [ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان، بل ما يخرج من الفم ينجس الانسان!].

وكانت هذه الزيارة هي بمثابة وضع نقاط على الحروف لعلاقتنا، اذ بدأنا نشعر أننا لسنا فقط أصدقاء بل أحبباء وبالفعل قررنا الزواج. وبالنسبة لي لم يكن قرار الزواج قرار عادي بل سرب إلي اللبنة الأولى بالإحساس بالمسئولية. وفي هذه الفترة التي نزلت فيها الى القدس للتحضير لزواجنا كانت أمي تنتظرنني بلهفة (فأمي مسلمة متدينة وذات شخصية قوية) قالت لي أنها ترفض ذهابي لفلندا للزواج ولكن يجب على تينا أن تأتي للقدس للزواج ليكون الزواج إسلامي وعلى سنة الله ورسوله (وكان هذا هو الشائع في فلسطين فالمرأة الغربية التي تتزوج من مسلم، تسلم وترتدي الحجاب وتتعلم اللغة العربية والقرآن). وفي ذلك الوقت كانت تينا تتوب وتعيد تجديد علاقتها بإلهها ومخلصها يسوع المسيح، فأصبحت مسيحية بكل معنى الكلمة. وبعد ترتيب أموري سافرت إلى فلنדה وتزوجنا وكان زواجنا بالحق أهم واجمل خطوة أخذتها في حياتي في ذلك الوقت.

ولم تكن تينا مسيحية تقليدية كباقي المؤمنات المتزوجات رجال غير مؤمنين (بأن تجلس تعظني ليلا نهارا، أو توبخني على أعمال الشريرة والسلبية من وجهة نظرها أو تشعرنني أنني أقل منها في شيء.. لم تكن تينا تفعل ذلك على الإطلاق بل بالعكس. تينا كانت زوجة فاضلة، من يجدها يتغير ويصير مخلوق على سورة الله) كانت خاضعة لي وكانت تعرف كيف تتعامل مع رجل شرقي له كلمته ويحترم رجولته الى أبعد حد، أن كل هذا أثر في ولكن لم يغيرني بالكامل، فما زالت أعمال شريرة ..احتسي المشروب وأسهر طوال الليل في الحانات، أن كل هذا جعلني عصبي المزاج جدا. كم قاست تينا معي، أشياء تفوق قدرة كل إنسان (لكنها بالحق امرأة تشابه المسيح) لم اتناول المشروب فقط بل تعاطيت جميع أنواع المخدرات. كانت سنين مليئة بالعبودية لإبليس ولكن كان في وسط ذلك الشوك وردة ثابتة لم تتغير في محبتها (هي زوجتي تينا)، كنت افتخر بإيمانها وأخلاقتها أمام الجميع. خمس سنوات مرت وأنا في هذا الضياع، لقد كنت انتحر ببطء وكانت تينا تصلي وتدعو الله من أجلي لكما يخلصني وينقذني، لم تصمت ولم تجعل الله يصمت وبالفعل استجابت لها السماء، وكان هذا في آخر يوم من سنة 1984. بينما كنت أمشي في الشارع مترنحا بعد ليلة طويلة من السكر قابلني شخص ودعاني لأذهب الى منزله لأشرب معه كوب من الشاي، فذهبت معه، وجلسنا نتكلم لمدة ساعتين أو أكثر، وفي الصباح لم أتذكر إلا القليل من الحديث، سألتني عن إيماني بالله، فأجبتة بنعم أنني أومن بالله وبرسله وبأنبيائه موسى وعيسى ومحمد، فقال: "أنا لا اعرف إلا طريق واحد يدخل الإنسان الى السماء (الجنة)، هذا الطريق الوحيد هو إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي به تمت المصالحة بين الإنسان والله، والذي بدونه لن تقدر أن تدخل السماء مهما فعلت من أعمال صالحة أو حسنات". وقال لي "اقرأ إنجيل يوحنا". هذا ما علق في ذهني. تذكرت أنني تركته وأنا متضايق منه جدا، ولكني أحببت جرأته وصراحته، فدعوته الى منزلي وأعطيته عنواني وكان يوم الجمعة موعدا التالي. وبالفعل بحثت عن كتاب زوجتي وبدأت اقرأ في إنجيل يوحنا، قرأته أكثر من مرة، للاستعداد لنقاش يوم الجمعة.

قررت عدم الشرب في ذلك اليوم لكي أناقش وأنا بكامل وعيي. فأتى ومعه شخص آخر اسمه نيلو وبدؤا يكلموني عن الله المحب لي ولكل البشر، وكيف يهتم بكل واحد منا اهتمام خاص ومميز، وماذا أنتج وأثمر شر الإنسان وأنانيته، كل الآلام الموجودة في الأرض (ارض السقوط). ولكن الله غير راض عن شر الإنسان ولا على نتائج هذا الشر، فالله لا يريد لنا المتاعب ولا الآلام التي نجلبها على أنفسنا (ما يزرعه الإنسان إياه يحصد) فالله المحب الحقيقي لا يجرب أحد بالشرور، بل هو منبع الخير والصلاح والقداسة والرعاية، فكانت أصغي لهم بكل كياني.. كياني العطشان واليابس.

وتعددت جلساتي معهم ومع الإنجيل ومع زوجتي، لدرجة أصبح فيها الدين هو مركز اهتماماتي وبحثي بعد سنين من العبث واللا شيء، وكانت تينا تريد أن تجعلني أكتشف المسيح (المسيا) المنتظر في التوراة لكي تثبت لي أن

المسيح هو محور التوراة والإنجيل (محور الوحي) لأنها كانت تعلم أنني أجد اللغة العبرية وهي لغة التوراة ، و بالفعل بدأت تخرج لي كل النبوات التي تتكلم عن المسيح ، التي كادت تقرب الثلاثمائة نبوة تتكلم عن المسيح وعن ميلاده المعجزي وعن حياته، آلامه، صلبه، موته وقيامته العجيبة. كل هذا اكتشفته موجود قبل المسيح بمئات وآلاف السنين، وهذا الاكتشاف بدأ يزلزل كياني لدرجة أنني اندهشت من اليهود كيف وهم يقرؤون التوراة كل يوم لم يؤمنوا بالمسيح (المسيا المنتظر)، (فبالحق الله هو الهادي وليست القراءة العمياء). وبدأت أكتشف أن المسيح شخصية غير عادية فهو مركز التوراة وما زال ينتظرونه ونحن المسلمون أيضاً ننتظر المسيح كحاكم عادل وديان للجميع.

(وطبعاً المسيحيون ينتظرون المسيح كإله وكملك) من يكون هذا الشخص الذي ينتظره الجميع؟

يهود ومسيحيون ومسلمون!!؟

إذا كان المسيح بشراً عادياً فإنه بذلك أخذ أكثر مما ينبغي حتى من الأديان الأخرى التي لها أنبياء مثله (موسى في التوراة ومحمد في الإسلام) فبالأولى أن ينتظر اليهود موسى والمسلمون محمد ولكن لم يحدث ذلك بل مازال ينتظر الجميع يسوع المسيح. حتى معجزات المسيح لم تشابه معجزات باقي الأنبياء والسبب هنا ليس كما يقولون أن الاختلاف يعود لاختلاف الرسائل والشعوب المرسل اليهم، لكن الاختلاف هو أن المسيح هو النبي الوحيد الذي شابه الله في صفاته وقدراته إلى درجة التطابق، فكيف يعطي الله نبياً أياً كانت مكانته ورسالته هذا الامتياز (أن يكون شريكاً له في صفاته، قدراته، قداسته بل أيضاً في محبته) ولقد وصل الصراع إلى ذروته بداخلي رغم أنني لم أكن مسلم مترمت بل كنت ملحدًا في كثير من الأحيان ولكن ما أصعب الدين في الشرق فهو موجود في الجينات وفي دماغنا وعظمتنا (فلا يوجد أصعب من أن يغير الإنسان عقيدته التي ولد وتربى ونما فيها). وكنت أفكر لو أن الحسنات توازي السيئات وتمحيها بحق فأنا أحتاج لعمر إضافي لكي أصنع حسنات تزيل وتمحو سيئاتي الكثيرة جداً، لذلك لا خلاص لي بالحسنات أو الأعمال الصالحة فمن يخلصني وينقذني من حياة الذنوب والعبث؟؟؟؟

من يخلصني إذن..

في هذه الفترة بدأ المسيح ينمو بداخلي بشكل لم ألاحظه وأخيراً لم أقوى على الصراع فصرخت إلى الله وقلت له عرفني الحقيقة، ما هو الدين الصحيح، فالأديان السماوية تؤمن أنك واحد ولكن الاختلاف هو هل مازلت بعيداً عنا في السماء السابعة أم أنك تجسدت وصررت قريباً منا و متحد بنا.

قلت له لو كنت يا يسوع المسيح بالحق إلهي ومخلصي فغير حياتي وحول هذا القلب الأسود لقلب أبيض، من قلب يكره إلى قلب يحب، من قلب نجس وغير طاهر إلى قلب مليء بالقداسة والطهارة والعفة. وبالفعل بدأت حياتي تتغير بشكل لم أكن أتخيله وبدأت السعادة تملأ كياني بلا مخدرات أو أي نوع من الخمر. وبالفعل بدأت حياتي تتغير فأصبحت لي أهداف واضحة، مبادئ واضحة، معنى واضح لحياتي وإلهاً مستعد أن اخسر من أجله كل شيء فهو وحده يكفيني... أخيراً، ابتهجت زوجتي لأنها رأت حصاد دموعها وصلواتها، وتحول بيتنا كنيسة وعروس للمسيح، وبدأت حياة الخدمة، المعجزات، الاختبارات العظيمة ولكن لهذا حديث آخر لمجد يسوع المسيح.

نزار

من وراء الحجاب

□ كل منا يحمل نعمات تراث عمره حيث الأحلام، حيث الخامية وعوامل التشكيل والبصمات، نعم أنكر كل اللحظات حتى يوم ميلادي أنكره جيداً، فمنذ حكت لي أمي تفاصيله ألتصق بذاكرتي وكأني عشته كان يوم أربعماء في عام 1971م، كنت الطفلة الأولى لأبواي، كنت الفرحة الأولى، وصراخ الطفل الأول في منزلنا . فأنا البكر لأربعة أخوات، حالتنا المادية تشبه أي أسرة عادية، فأسرتنا متوسطة الحال. تعلمت في مدارس حكومية، وكان أبي يهتم بقدر المستطاع بتوفير كل حاجاتنا لأنه كان يحلم أن نحظى بقسط وافي من التعليم، خاصةً أنا، وخاصةً وقد كنا كلنا بنات وكان أبي يحلم كثيراً بأن ينجب ولداً، فكان يسعى من هذه الناحية لفعل كل ما لا يجعلنا أقل من الولد على مستوى التعليم.

أما من الناحية الدينية فقد تربيينا على المبادئ والالتزام منذ الصغر، فأبي مسلم حقاً ساعدته نشأته الريفية على التمسك بكل أمور الدين والتقاليد، أما أمي فهي أقل التزاماً فكانت تصلي يوم وتتقطع أيام، وأذكر خلافات كثيرة لأبي معها بسبب ذلك الأمر. فهو كان يريد أن يكونا معاً أسوة حسنة لنا حتى نلتزم دينياً نحن الأبناء. وأذكر أنه أياماً كثيرة كان يخرج ليصلي صلاة الفجر في الجامع الذي يبعد عنا قليلاً، كنت أصحو على صوت الأذان في بعض الأيام، وكنت أندش بالالتزام أبي وتصميمه أن يصلي الخمس فروض في توقيتها في المسجد ولم يمنعه برد الشتاء أو حر الصيف وحتى في أيام مرضه.

سألته ذات مرة ماذا لو صليت هنا نظراً لبرودة الجو؟ فأجابني بأنه كلما خرج الى الجامع في وقت البرد والأوقات المماثلة كلما جازه الله خيراً وأعطاه ثواب أكبر (كان مخلصاً وملتزماً حقاً بالإسلام وأعتقد أنه مازال بهذا الإخلاص).

شجعتني أبي أن أصوم رمضان كله وأصليه وأنا عمري سبعة سنوات وقال لي حديثاً يقول [علموهم لسبع واضربوهم لعشر] كنت أشعر بالجوع في صيام ذلك الوقت ولكنني كنت أصر بإخلاص على أن أكمل اليوم وبالفعل صمت الشهر كله، سعد أبي لذلك وأذاع الخبر على كثير من عائلتنا وكان فخور بالتزامي. وسعدت أنا بأن الله سيجازيني خيراً بحسب قوله، ولكنني سعدت أكثر لقدرتي على تنفيذ هذه المهمة الشاقة، وحتى وصلت سن الثانية عشر كنت لا أوظب دائماً على الصلاة وكان أبي يختلف مع جميعنا على ذلك الأمر، فالالتزام بمذاكرتنا والالتزام بالصلاة هما أكثر موضعين استغرقتنا حديثاً وتوبيخاً في منزلنا طيلة حياتنا. وكان لأبي عقاباً أرفضه بشدة إذا انقطعت إحدانا عن الصلاة بسبب غير شرعي. فكان لا يجلس معنا على مائدة الطعام، مستشهداً في ذلك بحديث نبوي. (وكنتم أتساءل مع ذاتي كيف يقول الرسول كلاماً يساعد على تفكيك روابط الأسرة!!) أي التزام ينتظره أبي سينتج عن هذا العقاب!

وكانت الأفكار التي شربناها عن المسيحية بأنهم كفرة ومشركين بالله. وليس مجدياً أن نصنع علاقات معهم، إلا هذا الاستثناء صديق واحد لأبي كان يقول أنه يعرفه منذ الطفولة وكانت بينهم علاقة محبة تتضح عندما كان يأتي إلينا هذا الصديق هو وزوجته وأبنته لكي يشاركونا أفرحنا وأعيادنا، ولكن في كل مرة كان أبي يقول شيئاً يجعلني أندش بعدما يمضي صديقه المسيحي فكان يقول [خسارتك يا فوزي في المسيحيين، يا سلام لو كنت مسلم].

ثم في الثالثة عشرة بدأت مرحلة دراسية جديدة (إعدادي) وفي أول يوم في الدراسة ونحن نتهافت على أماكن المقاعد المفضلة ونتعارف، جلست بجواري فتاة تدعى مارسيل. كان ذلك أسم جديد على مسامعي وكانت تجربة جديدة أيضاً، ففي مقعد واحد لمدة عام دراسي كامل كان علي أن أتعامل مع هذه المسيحية (الكافرة) ولكنني

سرعان ما تعارفنا أكثر فوجدتني أنجذب إليها، فمازلت أذكر البراءة المنحوتة في ملامحها، حتى الآن وداعتها تخاليني وكأنما كنا معاً منذ أيام لا سنين وأذكر ذات مرة أنها سألتني ماذا معك من ساندويتش فقلت لها جينة رومي فقلت لنتبادل فأنا معي مرتديلاً فانزعجت وقلت لها مارسيل نحن المسلمين لا نأكل لحم الخنزير فهو محرم علينا.

فسألتني هي لماذا؟ فقلت لها لأن الله يخاف علينا وهذا اللحم هو مضر لصحتنا، فنظرت لي وشردت عيناها والتزمت الصمت. ففكرت أنا بداخلي لو كانت إجابتي منطقية وصحيحة فلماذا لم يتضرر كل هؤلاء المسيحيين على مر الزمان من أكل الخنزير! ولكنني لم أجد إجابة، ولم أرهق نفسي في البحث عنها، فنسيت الأمر.

ومر العام الأول على هذه العلاقة البسيطة الجميلة وفي العام الثاني في يوم دراسي كانت مارسيل تبحث في حقيبتها عن بعض الأشياء فأخرجت كل كتبها على المنضدة فأمسكت بكتابها الديني، وتقجر في حب استطلاع لم أعهد في ذاتي من قبل ولم يفارقني من وقتها. وطلبت منها ان أنظر في كتابها الديني وأخذت أتصفحها **وقعت عيناى على جملة تقول (كان يسوع يجول يصنع خيرا)** فسألتها من هو يسوع هل هو شخص: فأنا لأول مرة أعرف هذا الاسم!؛

فأجابتنى مارسيل أنه المسيح، أغلقت الكتاب وأعطيتها إياه ولكن ظلت هذه الجملة عالقة بذهني، أريد أن أكتشفها، شخص يجول يصنع خيراً ما أجمل هذا الشخص المتفرغ للخير.

وببراءة شديدة لم أعد أذكرها جيداً ذهبت للمنزل وكلي رغبة في اقتناء إنجيل يحدثني عن هذا الشخص، فطلبت من أبي ذلك وحكى له ما حدث، ولا أدري بعد ذلك ماذا حدث!... ثورة عارمة في منزلنا ، ضربات تنهال علي وترديد لجملتين (دول كفره، الإنجيل ده محرف) فبكيت وقدمت ندم على ما فعلت، وتبت. وبعد فترة وجيزة اشتعلت في الرغبة من جديد **فطلبت من مارسيل أن تحدثني عن يسوع**، فقالت لي أنه كان يحب الناس جميعاً ويصنع المعجزات لهم.

وفي ذات يوم ونحن في حصة الدين الإسلامي التي كان يدرسها لنا الشاب الأستاذ عبد الحميد الملطي والتميز بعلامة الصلاة على جبهته، كان شئ في داخلي يدفعني وسؤال يراودني منذ فترة لكنني أعلم أن سؤالي حرام فترددت ولكنني لم أستطع أن أكنمه، تجرأت وقلت (أستاذ.. ممكن أسأل سؤال.. بس يعني.. أستغفر الله العظيم) ثم أنطلق لساني: أما كان للرسول أن يساعد كل النساء في ظروفهم دون أن يتزوجهم؟ أما كان له أن يصنع معهم خيراً دون شرط الزواج؟ والا فيمكن أن يكون مزواج؟

وكانت الإجابة صفة سريعة جدا علي وجهي وكلمة كافرة، ولأول مرة أضرب في المدرسة. فشعرت بإهانة قصوى. وذهبت لمديرة المدرسة كي أشتكه وحكى لها ما حدث وقلت لها أما من حقي أن أسأل. انه سؤال بديهي، وواجهه كرجل دين أن يجيبني، ولماذا قال عني كافرة؟

كانت هذه السيدة متعصبة جدا، فكانت كثيرا ما تكلمنا وتوبخنا لعدم ارتداء الحجاب، ولكنها كانت أيضا حكيمة جدا.

وأجابتنى ببساطة انه لو كان الرسول صنع معهم علاقات للمساعدة فقط لكان تعرض وعرضهم معه لشبهات غير لائقة، فهزرت رأسي ولكنني لم أقتنع بالإجابة، ولم ترد الإجابة إهانتني، ولم أجد جدوى. فمرة أخرى ندمت وتبت. وقررت ألا انشغل بكل هذه الأمور ومع إلحاح أبي وكلماته التي تنهال علينا للمواظبة على الصلاة، قررت أن التزم بالصلاة.

فتجربة الحوار والتفكير غير مجدية، فلا أصلي كواجب ولا اجتتاب الإصابة بلعنة أبي، بل كان عندي الشعور بالهجر، ففي سجدي الأولى كنت أدعو الله أن تأتي السجدة الأخيرة وأنتهي من ذلك الواجب الفرضي. لم أفكر في الله ولم تجلب لي صلاتي أي تغيير في شخصيتي. وموقفي من المسيحيين ما زال يحمل ضدية تربيتنا، فمارسيل هي تجربتي الوحيدة، وحتى الكنيسة التي كانت بجوار بيتنا كنت لا أحاول حتى المرور أمامها. وسار الوضع على هذه الوتيرة لمدة عامين أو أكثر كانت الخلافات تشتد فيهم بين أبي وامي إلى ان حدث ما غير أشياء كثيرة في مساء حياتي، أبي وامي يفعلان أبغض الحلال بحسب قولهم.. ينفصلان.. بدأت آخذ وضعا جديدا بين أسرتي فأنا أتحمل مسؤولية أبي واخوتي الأربعة حين كان عمري حوالي 16 عام وقد كان لازماً علي أن أحصر ذاتي بثلاث أشياء.. أن أتفوق في دراستي، وأن أتفوق في أمومي لاخوتي، وفي رفقتي لأبي كشريك في المسؤولية.

ولم اسمح لنفسي أن أفكر في أي شيء آخر وانتهيت بعد ذلك من المرحلة الإعدادية بتفوق وكان اللحم القديم طبعاً أن أكمل تعليماً جامعياً، لكن نظراً لاحتياج الأسرة لي فقد أصر أبي أن أدخل مدرسة التجارة حتى أتفرغ لخدمة أخوتي، وبدأت أشعر أن كل الظروف تعمل ضدي وهذا الإحساس وضعه الله بالنسبة لي موضع رفض وتمرد. ولكن أين المفر من ظروف سيئة وسنين ملأنتي بالهم والانكسار.. أين المفر؟

لم يكن أمامي مفر سوى الله رغم كل شيء. لكن هذه المرة التجأت إليه وأنا في حالة من الضعف والاحتياج الشديد والصدق الشديد، والتزمت أكثر بالصلاة والصوم وكل فروض الإسلام وارتداء الحجاب، وبعد كل صلاة كنت أدعو الله وأتكلم معه كثيراً ولكني كنت أشعر أن صلواتي ودعواتي تصطدم بحائط وتعود إلي ثانية بلا استجابة وبلا معونة وبلا رجاء، فكنت أشعر دائماً أن الله بعيداً عني بعد المشرق عن المغرب. وبعد انتهاء دراستي جلست ما يقرب من عامين في المنزل وبدأت أختق من الحياة المملة والروتينية وبدأت أبحث عن عمل، علمت أن هناك مكتب للمحاماة يطلب سكرتيرة للعمل، كان صاحبه رجل مسيحي وعرضت الفكرة على أبي وأنا متيقنة من رفضه وبالفعل رفض، لكن أمام إصراري وإلحاحي وافق أبي أخيراً. وفي مكتب المحامي المسيحي بدأ يطفو ثانية فضولي لمعرفة هذا الدين المسيحي وبدأت بسؤال له عن سورة العذراء المعلقة خلف ظهره فمن أين أتوا بها؟ ولماذا يقولون عن المسيح أنه الله وهو مولود من امرأة عادية حتى ولو كان ميلاده إعجازي؟ ولم أكمل كلامي حتى هاج أستاذي وماج وقال لي بأسلوب لا يقبل مساومة (ما فيش أي أسئلة في الدين، وكفأية اللي بيحصل في البلد) كان يقصد أحداث الإرهاب البشع الذي يحدث في البلد عام 91. فخوف أستاذي منعه من الإجابة وأيضاً جهله بأمور دينه. فهو مسيحي بالاسم (فالجهل والخوف أسباب كفيلة جداً لأن تخفي أعظم جمال وتضعه تحت المكيال). فقررت أن أعرف عن المسيحية ولكن ليس منه فالمكتب يحتوي على مكتبة للكتب العامة وبعض الكتب المسيحية، وبالفعل بدأت أقرأ عن صلب المسيح ومعنى التثليث وأبن الله ومحبة الله، وجذبتني بحق قصة الحب العجيب التي ظهرت لي جلياً من الصلب والفداء ووجدتها مقنعة للعقل ومشبعة للنفس، ولكن الخوف من الاستمرار في هذه القراءات بدأ ينتابني، وبالفعل توقفت عن القراءة وقررت بأن أستعين بأحد رجال الدين الإسلامي ليجيب لي عن كل الأسئلة التي في داخلي وليمنع جاذبيتي نحو المسيح.

فذهبت لشيخ في جامع قريب منا وحكيت له قناعاتي القليلة ومخاوفي الكبيرة وبالفعل أعطاني العلاج الفوري لداء البحث والمعرفة!! وصفة تتكون من ثلاث خطوات علي الالتزام بها:

الخطوة الأولى : أن أوقف القراءة لهذا الدين وأترك مكان العمل،

الخطوة الثانية : أن أتوب وأصلي وأصوم ثلاث أيام،

الخطوة الثالثة : هي أن أواظب على قراءة المصحف كل يوم.

وبالفعل نفذت كل ما طلبه الشيخ، إلا مطلب واحد وهو تركي للعمل وذلك لصعوبة موافقة أبي على العمل مرة أخرى، ومن قراءتي الإسلامية التي زادت في هذه الفترة بدأت أكتشف ما زاد شكّي وانزعاجي ولم يعالج دائي، فالنساء ناقصات عقل ودين وبالتالي فميراث الرجل مثل حظ الأنثيين!!

وشهادة امرأتين أمام شهادة رجل واحد (باعتبار أن النساء ناقصات العقل!!) فلا يوجد منا دكتورة أو باحثة أو قاضية أو فيلسوفة أو حتى امرأة عاقلة!!

وأن أكثر أهل النار هم من النساء!!، بل أكثرهم حطب جهنم!!.. (تخليلوا معي نحن معشر النساء مخلوقين للتمتع في الأرض من الرجال، وفي الآخرة حطب لجهنم!! أو حور عين الجنة!!!).

والمرأة في الإسلام لا تخرج إلا لثلاث: لبيت زوجها أو لحج بيت الله الحرام أو لتدفن. وآيات القتال في القرآن كم أرهقتني: بحور الدم التي إلى الآن لم تقف بأسم الدين، تخليلوا معي بعد واحد وعشرون عام وأنا أو من بشيء يسقط الآن، وكانت هذه الفترة من عمري هي أصعب فترات عمري فكيف يحيا إنسان كان الله هو الوحيد ملجأه والآن بدون ملجأ، بدون إله.

ولكن بعد شهر من السهر والبكاء وانتظار الله الحقيقي أن يخترق السماء ويجيبني كنت أتعب من التفكير فأعود للقرآن فأنزعج أكثر وأشك أكثر، فقررت أن أقرأ الكتاب المقدس لعلي أجد فيه الحقيقة، ولكن الناس تقول بأن النسخة الأصلية ليس لها وجود، لكن ما العمل فلأقرأ هذه النسخة المحرفة الغير الحقيقية، لعلي أجد الحقيقة بين السطور. وبالفعل بدأت أقرأ الإنجيل واكتشفت يسوع، هذا الاسم الذي سمعته منذ سنين وجذبي، رأيته كيف كان يشفي المرضى ويطلق الأسرى أحراراً ويفغر للمرأة الزانية ويحب ويبارك أعداءه. ولأول مرة في حياتي أكتشف أنني لم أختبر قلب الأبوة ولا رعاية الأمومة فأبي وأمي منفصلين منذ زمن وأنا البكر بين أخوتي. والآن أشعر أن يسوع أبي وأمي وشعرت أنه يضمني إلى صدره، يأخذني بين ذراعيه كطفلة ويسقط كل الأحمال التي أحنت ظهري ويشعرنني لأول مرة في حياتي إني امرأة بحق. أنسانة بحق. محبوبة بحق. ليست للمتاع أو السلعة بل مخلوقة على سورة الله. فبكيت، ليس بكاء الناجون من النار بل بكاء الناجون من الموت في هذا اليوم قلت له يا يسوع أنت إلهي ومخلصي، أنت أبي وأمي، أنت كل شئ لي في الحياة.

ومن هذا الوقت بدأت مرحلة أخرى ممتلئة بالأحداث والمعجزات وبالاضطهاد ولكن لكل هذا حديث آخر في المستقبل.

ليلى

الهجوم على الكتاب المقدس

دعوى التحريف واسبابها

- اختلاف فكرة الوحي بين المسيحية والاسلام

- آيات قرآنية بها دعوى التحريف

- عدم ذكر نبي الأسلام

- كل ما يتعلق بألوهية المسيح وصلبه

آيات التحريف:

(1) البقرة 42 "ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون" يقول المفسرون بالأجماع هذا

تأويل واخفاء وليس تحريف.

(2) البقرة 75 "أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون ثم يأولوه ويفسروه كيفما

يشاءون"

(3) البقرة 101 "ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا

الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون"، قال البيضاوى جيل اليهود 4 فرق، فرقة

آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم أقلية وفرقة جاهروا بنبذ عهودها

وتخطي حدودها تمردا وفسوق هم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها

ولكن نبذوها لجهلهم وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا

وعنادا وهم المتجاهلون وهذا يدل على ان المقصود هو تأويل وليس تحريف

(4) البقرة 174 " ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترتون به ثمنا قليلا اولئك ما

ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم "يقول

المفسرون: كان اليهود يعرفون الايات الدالة على نبوة محمد ولكن كانوا يكتُمونها فكانوا

يكتُمون معانى ما انزل الله

(5) آل عمران 70 "يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون" يقول الرازى: آيات الله هي الآيات المبشرة بمحمد في التوراة والانجيل وأن اهل الكتاب كانوا ينكرون وجود هذه الآيات أمام المسلمين فاذا خلوا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها. أى أن المقصود هو الكتمان وفساد التأويل.

(6) آل عمران 78 " وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم لا يعلمون"، الرازى استصوب رأى القائل ان معنى التحريف هو التأويل الفاسد

(7) آل عمران 187 " وأذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون "يقول المفسرون ان المقصود هو التأويل

(8) النساء 46 " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا " قال الرازى : المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البعة مسلمين فى زماننا هذا بالآيات

(9) المائدة 41 "يحرفون الكلم من بعد مواضعه " قال البيضاوى: اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها (روى ان شريفا من خير زنى بشريفة وكانا محصنين وكره اليهود رجمهما فارسلوهما مع رهط ليسألوا الرسول (ص) عنهما وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوه وان نأمركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن سوريا حما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فرق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم حلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبتة ان ينزل علينا العقاب " يقول الرازى: من بعد مواضعه اى بعد ان وضعه الله

مواضعه اي فرض فروضه ، واحل حلاله وحرم حرامه ، هنا المقصود بقوله انهم وصفوا

الجلد أماكن الرجم في حادثة زنى اثنين من اشراف قريش وايضا ذكرت في اسباب النزول

الخلاصة :

- التحريف هو صرف او امالة الشئ عن اصله

- قال الرازي عند تفسيره سورة المائدة التحريف يحتمل التأويل الباطل لان الكتاب المنقول

بالتواتر لاياتي فيه تغيير اللفظ

- كل ماتقدم يخص التوراة وليس الانجيل

- القرآن لم يرمي كل اليهود بالتحريف ولكن فريق منهم وايات التحريف لم تات في السور المكية

بل كل ما ورد في السور المكية كان مدحا وتعظيما في الكتاب المقدس، ومعلوم ان السور

المكية سبقت المدنية فلو كان هناك تحريف في الكتاب لاشير اليه منذ البداية عوض المدح

والاطراء

هل نسخ القرآن الكتاب المقدس ؟

يقول البيضاوي في تفسير التوبة 30 "ولا يدينون دين الحق" اي الدين الذي ينسخ سائر الاديان

ويبطل مفعولها اعتقادا وعملا في كتاب عيون أحبار الرضا فصل 36 يقول كل نبي كان في ايام

موسى وبعده كن على منهاج موسى وشريعته وتابعا لكتابه الى زمن عيسى وكل نبي كان في

ايام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته تابعا لكتابه الى زمن نبينا محمد (ص)

وشريعة محمد (ص) لاتنسخ الى يوم القيامة

في كتاب هداية الطالبين الى اصول الدين للمولوي محمد تقي الكاشاني الفارسي ما ترجمته في

العربية: ان علماء الاسلام قرروا ان محمد نبي هذا الزمان ودينه ناسخ لاديان الانبياء السابقين

ص 166

الرد : القرآن لم يشر لنسخ الكتاب المقدس لا من قريب ولا من بعيد وكذلك الحديث عند السنة او الشيعة لم يشر الى مسألة النسخ قال الحاج رحمة الله الهندي فى كتابه اظهار الحق : ان القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الانجيل بهتان لا اثر له فى القرآن ولا فى التفاسير بل لا اثر له فى كتاب من الكتب المعتمدة لأهل الأسلام والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة ولا بمنسوخ من الانجيل وكان داود عليه السلام على شريعة موسى (ع) وكان الزبور ادعيته

التوراة لم تنسخ الانجيل : المائدة 46 "وقفينا على اثاره بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وأتيناها الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين النسخ ومعناه : الابطال ورفع الحكم وهذا لا يمكن ان ينطبق على الكتاب المقدس والقرآن لا يمكن ان ينسخ الكتاب المقدس للاسباب الاتية :

اولا : التنزيل المنسوب للقرآن منسوب للكتاب المقدس

النساء 163 " انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده " الشورى 3 " كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم " ومن البديهيات المسلم بها فى علم اصول الهندسة انه اذا ساوى شيئان ثالثا فهما متساويات لبعضهما لا محالة فأسفار العهدين منزلة من عند الله بنفس التنزيل الذى ينسبه القرآن لنفسه

ثانيا : لأنه جاء مصدقا لما جاء فيهما

يونس 37 " وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق للذي بين يديه " يوسف 111 " لقد كان في قصصهم لعبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه "

البقرة 41 " يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واطفوا بعهدى اوف بعهدكم وايافى فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم "

آل عمران 81 " ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنون به ولتنصرنه "

البقرة 97 " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه "

البقرة 89 " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم "

البقرة 91 " واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدق لما معهم "

آل عمران 3 " نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس "

الانعام 92 " وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه "

فاطر 31 " والذى اوصينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه "

النساء 47 " يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم "

ثالثا : القرآن يدعو للايمان بما فيها

العنكبوت 46 " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذى انزل الينا والذى انزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون "

النساء 136 " يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا "

آل عمران 84 " قل آمننا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم "

المائدة 68 " قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل عليكم من

ربكم

لم يقل القرآن على فرض انهما نسخا

المائدة 43 " وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله" حديث الوسادة

الشورى 13 " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم

وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "

الانعام 89 - 90 " اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فبهدهم اقتدوا"

رابعا : الله يدعو محمد بالرجوع الى اهل الكتاب (التوراة والانجيل)

يونس 94 " فان كنت فى شك مما انزل اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك "

النحل 43 " وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون "

قال الجلالان ان اهل الذكر هم العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمون

(الجلالان ص 357)

خامسا : القرآن متضمن فى الكتاب المقدس ولم يأتي بجديد

الشعراء 193 - 196 " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين

وانه لفي زير الاولين "

هل اتى بجديد ؟ ما هو ؟ ماهي المبادئ الاخلاقية والادبية التى جاء بها ؟

سادسا : القرآن يدعو للايمان بما فيها

البقرة 136 " قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون "

النساء 26 " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم "

2- آيات النسخ : مما سبق لنا ان النسخ غير وارد بالنسبة للتوراة والانجيل بل هو خاص ببعض

نصوص القرآن وعلماء الاسلام لم ينكروا هذا

قال السيوطى ان النسخ ما اختص الله به هذه الامة

3- آيتان فقط جاء فيهما النسخ

البقرة 106 " ما ننسخ من آية او نفسها ناتي بخير منها أو مثلها "

روى ابن حاتم عن ابن عباس قال " ربما نزل الوحي على النبي في الليل ونسيه في النهار

فنزلت الآية

وقال الجلالان " لما طعن الكفار في النسخ وقالوا ان محمدا يامر اصحابه اليوم بامر وينهي عنه

غدا نزل " ما ننسخ .. "

الحج 52 " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ

الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته "

جاء في تفسير الجلالين ص 447

قرأ النبي بمكة سورة النجم فلما بلغ " افرايتم اللات العزة ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على

لسانه من غير علمه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى " فقال المشركون " ما ذكر الهتنا

بخير قبل اليوم " فسجدوا ونزلت الآية " وما أرسلنا من قبلك .. "

ووردت ايضا فى السيرة النبوية لابن هشام والمواهب اللدينة والطبرى (القرآن ينسخ نفسه بنفسه)

وعدد الآيات المنسوخة من القرآن بلغت 225 آية

قالت عائشة لمحمد ان الله يسرع اليك فى هواك " .. صحيح البخارى مجلد 6 ص 295

النحل 101 - 102 " واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم

لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمؤمنين

قال الجلالان : بدلنا اي ينسخها او نزل غيرها لمصلحة العباد

قال الرازي : التبديل الرفع رفع الشئ ووضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها بأية غيرها وهو

نسخها بغيرها

مبارك شعبي مصر

اسمي: مظفر

ميلادي : تم في سنة 1969 .

كنت الطفل البكر .. لعائلة متوسطة الحال في مدينة تتسم بالجمال والهدوء .

كبرت وتربيت على الإحساس بالمسؤولية، كنت طفل ليس ككل الاطفال، لا ألعب كثيراً ولا انزل في الشارع كأطفال الحي الذي أسكن فيه.. وكنت دائم الالتزام باخوتي الاثنين (المتوسط طارق والصغير نور) لأن طبيعة عمل أبى في مدينة أخرى غير التي نسكن نحن فيها وورطني في الالتزام.. وجعلني العب دور أبى الغائب اكثر أيام الأسبوع .

ومرت الأيام والسنين دون أدنى مشاكل لي ولعائتي، فمن الناحية الاقتصادية نحن شبه أغنياء، فتعليمي كان في مدارس خاصة. ومن الناحية الدينية، كنا مسلمين نصلي ونصوم.. نقيم الفرائض ولكن بشكل عادي غير متمتzent أو متعصب.

إلى أن جاء اليوم الذي فجر كل علامات الاستفهام بداخلي وغير مجرى حياتي.. من حياة عادية.. إلى حياة مليئة بالمفاجآت والمتغيرات. هذا اليوم يوم دخولي المرحلة الثانوية، هذه المرحلة المهمة جداً من جهة نظري لكل شخص، لأن فيها يبدأ الإنسان في البحث عن ذاته.. في البحث عن أشياء تعود أن يتلقاها دون فحص أو امتحان أو حتى استفهام بديهي!!!

فكل منا توارث دينه.. ولونه.. ولغته.. وجنسه. لم يختار أحد منا أي شيء من هذه الأشياء رغم أهميتها وتأثيرها.. وتشكيلها لكل منا، فنحن نتعامل بهذا التراث الجبري مع أنفسنا.. ومع الله.. ومع الآخرين فمثلاً: نحن المسلمون ولدنا وتربينا على كره اليهود وبعضنا تربى على كره اليهود والمسيحيين، وعلى أننا نحن المسلمون خير أمة أخرجت للناس، ولا يتخيل أحد منا أن الآخر اليهودي أو المسيحي أو.. الخ على صواب إطلاقاً. هذه الفكرة (صواب الآخر) لا تأتي حتى في الأحلام!!

وعلى ما أظن أن قلة قليلة جداً هي التي تفكر في البحث عن الأشياء التي تسلمتها بالوراثة. وعلى مدى صحة هذا التوارث لأننا أن كنا نطالب الآخر (اليهودي أو المسيحي) أن يبحثوا في تراثهم لاكتشافه وتنقيحه، لأننا على يقين مسبقاً انه خطأ، ونعتبرهم عميان لانهم يقبلون تراثهم دون فحص، فنحن بالأولى ينبغي أن نفعل ذلك (المنطق يقول كما تريد أن يعاملوك الناس عاملهم أنت أيضاً) وعلى ما أظن أن إعادة البحث في التراث.. ومحاولة كشف حقيقته تجعلنا أكثر تجذراً وثباتاً في مناطق الصواب فيه وتجعلنا مرنين ومتطورين ومتغيرين في مناطق الجاهلية والباطل فيه فبالأكيد إن الإله الحقيقي يحب القوم الباحثين عن الحق وعن النور.. وعن الخير.. وعن الحياة الأفضل.

وبدأت المرحلة الثانوية... بعلاقات جديدة.. ومدرسة جديدة.. مليئة بالمفاجآت والتنوع (وعلى ما أظن أن المدرسة لن تنسى في تاريخها هذا الجيل). تعرفت على طلبة ملحدين (لا تؤمن بوجود الله) وعلى طلبة من الجماعات الإسلامية المتعصبة إلى حد العنف، وعلى طلبة يحيوا سنهم ومرافقتهم.. غير مهتمين بشيء غير البنات.. تنوع عجيب وثرى.. وبالذات بالنسبة لي. فمن حياة عادية تقترب إلى حد الملل.. إلى حياة ثرية كمأ وكيفاً.

وبدأت اصنع علاقات متعددة وعميقة إلى أن تعرفت على شخص أصبحنا في وقت قليل أصدقاء بكل معنى الكلمة. (أتخيل بعد 16 عام تقريبا من صداقتنا أن من لا يختبر الصداقة الحقيقية ظل وحيداً إلى الأبد.. لا يعرف معنى الدفء.. والمعية.. والصدق.. والإخلاص.. لم يكتشف الآخر لانه لم يكتشف ذاته أولاً.. "سامحوني فأنا متعصب للصداقة") وكان صديقي الجديد (باسل) يحمل نفس أفكاره عن الإنسانية باعتبارها ذات منبع واحد هو أبونا آدم وأمنا حواء.. وان الإخاء والصداقة هو الشعور الذي ينبغي أن يحكم كل العلاقات الإنسانية وهو الوحيد القادر على تخطي كل الحواجز الوهمية منها والحقيقية (حيث حاجز العقيدة واللغة واللون والجنس والطبقة)، وكان يقول أن البشر لو عادوا لحقيقة الوحدة لم تكن هناك حروب أو مجاعات ولا أصبح العالم أكثر سعادة مما نحن فيه الآن.. لأصبح العالم بيتاً صغيراً لعائلة كبيرة.. حيث السلام والعدالة والمساواة والحرية.

وكانت هذه المبادئ هي شغلنا الشاغل حتى في علاقتنا العاطفية كنا ننتمي لهذا النوع من الحب الأفلاطوني.. (هذا النوع من الحب الذي يقدر الروح ولا يهتم بالجسد) كانت لحظات وأيام وسنين جميلة بحق. كنا مرافقين مثاليين.. نحمل قلب الأطفال.. وبراءة الأطفال.. ودهشة الأطفال.

حيث حلم اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) كان حلمنا المفضل والمُح في اليقظة وحتى في المنام.. أتذكر كنا نقضي ليالي كاملة في النقاش والقراءة.. وكانت لعائلتي شقة أخرى غير التي نسكن فيها، كانت بمثابة صومعتنا أنا وباسل.. كنا نقضي أكثر أوقاتنا فيها نكتب، ونسمع الأغاني التي نعشقها ونقرأ كل الكتب الممنوعة والغير ممنوعة (باعتبار الممنوع مرغوب ومن وجهة نظري الممنوع مرغوب وأيضا مطلوب) وكانت ممنوعاتنا من نوع خاص. ليست هي بالسجائر أو المخدرات ولكن ممنوعاتنا كانت من هذه الكتب التي حرم علينا قراءتها، لأنها كانت محرمة، (ما تدخلنيش الجنة يارب لو للجنة سور) صلاح جاهين وكان صديقي باسل يثير أسئلة عديدة. أتذكر كان يقول لي أن دعوة التحريف التي يعلنها الإسلام عن اليهودية والمسيحية دعوة تسقط كل الأديان. حتى الإسلام ذاته.

كنت أقول له كيف؟! الإسلام الوحيد المحفوظ.. والمهيم عليه وأقول له الآية الشهيرة (أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون) فيقول، نحن نصدق هذا الكلام لأننا مسلمون.. ولم يحاول واحد منا أن ينظر لمسألة التحريف نظرة محايدة وموضوعية بمعنى.. هل الله هو الذي أوحى بالتوراة والزيور والإنجيل؟

أقول له: نعم

فيقول باسل هل مبدل لكلمات الله أو مغير لها .

فأقول له الآيات التي تعلن انه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير، فلا يقدر أحد من البشر أو حتى من الملائكة أن يفعل ذلك لأن الله هو القادر والقوي والجبار الذي يقدر أن يحافظ على كتبه.

فيقول باسل:

أنت تؤمن أن الله قوي وقادر على كل شيء وجبار ولا مبدل لكلماته، فكيف سمح أن يحدث التحريف ليس فقط لكتاب واحد من كتبه بل لجميع كتبه ما عدا كتاب واحد.

فسمح بتحريف التوراة الذي أنزله على موسى!!

وبعد ذلك سمح بتحريف الزيور (المزامير) الذي أنزله على داود!!!

وبعد ذلك سمح بتحريف الإنجيل الذي أنزله على عيسى!!!!

وبعد 600 سنة تقريبا.. ستة قرون متكاملة.. أجيال ماتت وأجيال عاشت على الضلال وعلى تحريف الكتب المقدسة. أتى الله بكتاب لا يقدر أحد أن يحرفه!!!!

فجأة اصبح الله قوي وجبار وغير مبدل لكلماته، بعد كل هذا التاريخ الذي حرفت فيه كتبه وضلت فيه عباده (بني إسرائيل الذي فضلهم على العالمين) والقسيسين والرهبان الذين يتلون الكتاب ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر !!

كل هؤلاء ضلوا ..

فهل تتخيل معي اله لم يقدر أن يحفظ كتابه من التبديل والتغيير والتحريف.. يقدر ان يحفظ عباده!!

كنت أفكر واصمت ولا أجد أجابه للرد عليه، لأنني كنت أعلم أن القضية ليست في إيجاد حلول أو إجابة تنقذ الله من المعضلة التي وضع نفسه فيها.. ولم يضعه فيها أحد.

وفي نفس الوقت كنت أثق في علامات استهتام صديقي باسل وإنها استهتومات منطقية يسألها أي شخص عاقل يفكر وكانت اعلم أيضا انه يحمل نية خالصة لله لا يطلب منها رضا بشر أو متع الدنيا الزائلة.

وكان يقول لماذا ندعوا نحن المسلمون بتحريف الكتب المقدسة وفي نفس الوقت ندعوا بحفظ القرآن وحده (وكان القرآن وحده هو كتاب الله) فهل يوجد لدى الله محاباة بين كتبه ورسله!!

وهل لا يهتم الله بهذه الأجيال من البشر التي ماتت في ضلال وهي تتخيل أنها ماتت على حق.. سنين من الإخلاص يقرؤون الكتب بكل تقديس وبكل طهارة وبكل تقوى وهي في الحقيقة كتب محرقة.

فيا صديقي.. أنا لا أؤمن بأن الله الحقيقي يفرق بين أحد من كتبه ورسله.. ولا أؤمن حتى انه يفرق بين عجمي وعربي إلا بالتقوى..

ولذلك يا صديقي ينبغي أن نسأل كل هذه الأسئلة ليس لليهود أو للمسيحيين ولكن نسألها لله سبحانه وتعالى. كنت اشعر أن باسل صادق في كل كلمة يقولها، أتذكر أن بعض الليالي كنا نقضيها في قراءة الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) نخرج التشابه والاختلاف بينهم.

كانت أوقات جميلة.. رغم أنها كانت مرهقة جدا فكريا ونفسيا.. لأن النزاهة الفكرية والحياد في البحث أمر ليس بهين.. فلا يوجد أسهل من أن تخرج دين صحيح وآخر خطأ دون بحث حقيقي.. يرضي ذاتك ويرضي الله.

وكان باسل يقول لي هل العملة الجيدة تكون أولا أم العملة المزيفة تكون أولا؟

أقول له طبعا العملة الجيدة الحقيقية أولا ، وبعد ذلك تقلد وتزييف.. فيقول المنطق يقول هذا ولكن كيف يسمح الله أن يكون كتبه الثلاثة الأوائل محرقة وكتابه الرابع (القرآن) هو الوحيد الغير محرقة.. كيف!!؟

أين العملة الحقيقية التي نقيس عليها التحريف؟ الكتب الأولى؟ أم الكتاب الأخير!!؟

وكان باسل يتأسف كثيرا وهو يقول لي.. "سامحني يا صديقي كيف يجرؤ شخص سمح بهذا التفريط في كتبه أن يطالبنا بهذه الثقة في كتابه الرابع!!

هل تصدقوا إنني كنت أقبل هذه الاستهجمات الجريئة من باسل دون أدنى إحساس انه يسخر من الله أو من القرآن أو من أحد. فأنا أعرفه بحق أنه يحب الله ويحترم الجميع.. لكنه فقط كان يفكر بعدالة وبأمانة وبلا أي محاباة أحد.. فكان يقول لي دائما.. أن الآخرة لن ينفع فيها شفيع إلا الحق. فكان باسل يثير كل الأسئلة البديهية مثلاً كان يقول: **كيف حرقت الكتب المقدسة ومتى حرقت واين حرقت ومن حرفها؟!**

وكثير من الأسئلة التي لم ينشغل أحد من المسلمين الأوائل ولا المتأخرين (من السلف أو الخلف) من أن يبذل القليل من الجهد للإجابة عليها وكأن مسألة التحريف واضحة وضوح الشمس ولا يجهلها إلا الجاهل!!! وكان صديقي باسل اكثر مني اهتمام بالأمور الدينية والأخروية.

وفي ذات ليلة من ليالينا الجميلة المليئة بالنقاش والبحث.. اخترقنا الصمت نحن الاثنين في لحظة واحدة، ولمعت في أذهاننا فكرة أيضاً واحدة (نوع من توارد الأفكار التي كنا نسمع عنه) الفكرة كانت أن نصنع لنا ولأصدقائنا شبه كتيب يحمل مبادئنا وأحلامنا وأفكارنا وحواراتنا ولحظتنا الجميلة.

في نفس الوقت كان هذا الحلم يداعبني ويداعبه، وبالفعل لم نترك اللحظة التي تحمل الحلم تعبر علينا عبور الكرام دون أن نرصدها ونوقفها ونبدأ في تحقيقها، وكانت هذه الليلة في سنة 1986 ليلة لا تنسى، كان اسم الكتيب (لا نؤمن) وكانت أفكاره تدور حول ما لا نؤمن به، أتذكر هذه المقدمة المتمردة التي كانت تقول

" نحن أسرى العادات والتقاليد والأحاسيس المألوفة والحواس العاجزة "

وفي يوم جاءني باسل.. رأيت في عينيه شيء لم أراه من قبل، وكأنه يحمل سر لا يقدر صدره أن يحتمله. شعرت أن عينيه تسبق لسانه في إفشاء سره.

بدأ يتمشى أمامي ويتكلم بصوت عال وكأنه يفكر بصوت عال وليس يحاورني (كان بالحق حوار خاص جداً) وبدأ يقول : أنت تعلم أنني ابحت منذ زمن بعيد واقرا كل الكتب المقدسة والغير مقدسة وكنت أحاول دائما أن أكون محايدا، فأنا لا ابتغي غير وجه الله وليس لدي أي نية مسبقة في إعلاء دين عن دين آخر.

وبعد وقت من البحث المرهق والليالي الباكية الباحثة عن لحظة أمن وعن حضن أب يحتوي تيه وترحال الابن الضال، لا اكذب عليك.. وأقول أن طريق البحث المحايد رحب أو مفروش بالورود، أكذب عليك لو قلت لك هذا بالعكس في لحظات كنت اشعر أنى اغرق داخل طوفان من الأسئلة التي ليس لها إجابة، ولحظات أخرى كدت أتنازل عن هذه المحايدة النزيهة وامسك بأي دين كغريق يمسك بقشة، ولكن لا اقدر أن أنكر أن قوة العلي كانت تظللني، كنت اشعر في ذروة الإرهاق والإحباط برجاء جديد يتسرب إلى روحي بقوة جديدة تعضد مفاصلي.. تنهضني.. معونة جديدة تجدد منابعي.. وكانت هذه الأشياء بمثابة علامات على الطريق.

كنت في كل صباح اجدد عهودي بالاستمرار نحو الهدف والمثابرة لاكتشاف الحقيقة لاكتشاف إلهها يصالحني مع السماء.. ويصالحني مع ذاتي.. ويصالحني مع الآخرين.. كل الآخرين.. الأحياء منهم والأعداء، إلهها يقدر أن يغير قلبي.. بل يخلق لي قلباً من جديد.. قلباً يعرف كيف يسبحه.. كيف يرحم.. كيف يغفر.. كيف يرضى.. كيف ينير.. كيف يغير العالم إلى عالم افضل.

فهل تصدق يا صديقي أن هذا الإله الرائع العظيم وجدته..

هو مخلصي والهي وتاجي وعزي وسيدي وقضيتي ونضالي.. يسوع المسيح .

صدقوني رغم معرفتي الجيدة بباسل وبتطوره، لكن لا اقدر أن أنكر أن خبر ارتداده عن الإسلام نزل علي كالصاعقة. فصديقي الذي احبه.. قد ترك الإسلام وكفر، لم أقوى على الرد عليه وشعر هو بصدمتي فتركني بمفردتي أعيد حسابات صداقتنا وحسابات بحثي.

وبدأ القلق ينتابني وشعرت أن الشك بدأ يتسرب إلى مورثاتي، وان جذوري تقتلع، فقلت لنفسي أن هذا الشعور بالشك الذي أصابني.. أصابني لاني لا أعرف ديني بحق، وغير ملتزم التزام كاملاً به ولعلي أن درست الإسلام والتزمت بكل فروضه ونوافله لاصبحت لدي إجابات على كل الأسئلة التي تدور في رأسي، وحينئذ سوف يتبخر الشك من قلبي وينبت بدل منه الإيمان الراسخ بالإسلام.. ديني ودين آبائي.

وبعد ذلك سوف اقدر أن اهدي صديقي باسل الذي ضل الطريق وكفر.

وبالفعل ذهبت إلى باسل وقلت له كل ما يدور في نفسي، وفوجئت برد فعله الذي كان بمثابة صاعقة أخرى لي فهو لم يرفضني ولم يرفض ما قلته ولم يستاء حتى ولو بوجهه ولكن على العكس اطلاقاً، كان فرحاً بما وصلت إليه وكأنه كان يريد مني أن ادرس في الإسلام وان التزم بحق ، وان أصير مسلم بمعنى الكلمة.

فشجعتني باسل وقال لي (الحق لا يعرف برجال ولكن الرجال يعرفوا بالحق) وان الله لم يترك شخص يبحث عنه بصدق يقع في الضلال! ولذلك أنا لا أخاف عليك كما لا أخاف على نفسي. فأستمر فيما أنت مزعم أن تفعله ولتلتزم بالإسلام والله الموفق.

ولكن انتبه يا مظفر.. أن النية الصادقة وحدها لن تكفي للوصول إلى شاطئ الحق، ولكن النية الصادقة مع البحث المحايد والنزيه والعاقل مع المثابرة ولا كلال، كل هذا سيوصلك إلى شاطئ الأمان بإذن الله، حيث الطريق والحق والحياة الأفضل.

وبالفعل بدأت حياة الالتزام والدراسة الإسلامية العميقة والتزمت في جماعة إسلامية تسمى الجماعة السلفية. كنا نصلي معاً كل الفروض في المسجد، ونحضر دروس تعليم الفقه والعقيدة، ونخرج ندعو الشباب إلى حياة الالتزام الإسلامي، وكنت اذهب أنا والاخوة كل فترة للاعتكاف.. ثلاث أيام، أو أسبوع، أو اكثر.. للعبادة والصلاة في مساجد في مدن أخرى.

وكنا نصنع المعسكرات لنقرأ القرآن وناقش الأمور الدينية والسياسية المعاصرة والمُلحة على الجماعة.

وكان هذا تحت إشراف أساتذة جامعيين وصفوة شباب الأمة (طب.. هندسة.. حقوق.. آداب) ورغم هذا الالتزام وتغيير كثير من أشكال حياتي القديمة في البيت ومع الجيران ومع أصحابي في المدرسة، فكنت أحرم التلفزيون والأغاني وكل أنواع اللهو.

وكننت أمر أمي وكل أقبائتي النساء بلبس الخمار (الزي الإسلامي للمرأة) وأمر أصحابي كلهم بالالتزام بالصلاة في أوقاتها، كل علاقاتي تغيرت، إلا علاقتي مع باسل.. لم أقدر على تغييرها رغم أننا أصبحنا الآن مختلفان إلى حد التناقض والتنافر في العقيدة، فهو كافر في نظر عقيدتي التي أصبحت الآن كل شيء، ولكن في نظر إنسانيتي التي لم أقدر أن أتخلى عنها.. هو صديقي الوحيد.

نعم هو كافر لأنه أصبح مسيحي، ولكنه صادق ومخلص وأمين ومحِب للجميع. وكننت ادعوا الله دائماً أن يهديه للإسلام.. أتذكر أن الاخوة في الجماعة السلفية كانوا دائماً يطلبون مني أن اقطع علاقتي معه، وان أحاربه أنه كافر (أنه قد عرف عن باسل في مدينتنا انه أصبح مسيحي) ونتيجة لذلك مر باسل باضطهاد ليس بقليل.

ولكنني كنت أراه دائماً صلباً وبشوشاً وغافراً ومحباً لمضطهديه. وكانت هذه الأحاسيس تبهرني وتصيبني بشلال من علامات الاستفهام..

كيف يمتليء بهذا السلام والحب وهو شخص كافر!!؟

كيف لا يبادلهم شر بشر، وعين بعين، وسن بسن!!؟

كنت اعرف منه انه يشابه المسيح الذي يؤمن به. كان يقول انه يحب أعداءه ويغفر للمسيئين إليه، وأمام هذا الحب كانت تتضاءل كل سنين التزامي بالإسلام، وتشددي، وتعصبي الذي جعلني لا احمل هذا القلب ولا احمل هذا الحب.

كان هذا الحب يواجهني ويواجه كل ما أعلنه بان ديني هو الدين الحقيقي.. وأن الهي هو اله الكون، وأننا خير واعظم أمة أخرجت للناس، وان نبينا هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كل هذه الأشياء لم تكن تصمد أمام هذا النهر الجارف من الحب. فكننت اهرب و أعود إلى التزامي، لعلي في يوم من الأيام أتغير وأصير أقوى من باسل ومن اله باسل فأواجهه وانتصر عليه.

وبعد سنتين كاملتين من الالتزام الكامل بالفرائض الإسلامية ومن البحث المخلص والأمين بدأت اكتشف اكتشافاً يهز كياني ويشككني اكثر من كل الماضي، اكتشفت أن كل العبادات الإسلامية لم تكن وليدة الوحي الإسلامي بل كانت موجودة قبل الرسول وقبل القرآن في الجزيرة العربية.

واكتشفت أيضاً أن الشريعة وكل الحدود كانت تطبق قبل الإسلام وان كثير من التعاليم مأخوذة من التوراة (رجم الزاني.. قطع يد السارق.. الخ)

وأن المسيحية التي حاربها الإسلام والتي يقول عنها بان أصحابها يؤمنون بان الله ثلاثة ويرد عليهم بان الله لم يلد ولم يولد. {باعتبار انهم يقولون بان الله تزوج مريم وانجب المسيح ابن الآلهة}

وانهم يقولون أن المسيحيين اتخذوا عيسى وأمه مريم العذراء الهين من دون الله، كل هذه المسيحية المعلنة في القرآن، اكتشفت إنها ليست هي المسيحية الحقيقية، ولكنها الهرطقات التي كانت موجودة في الجزيرة العربية قبل عصر الرسول وفي عصر الرسول.

فالمسيحية الحقيقية تؤمن باله واحد قبل الإسلام بستة قرون، وبها تعليم ومبادئ سامية لا يقدر بشر أن يواجهها إلا وهو خاشع.

بعد أربع سنوات من الدراسة والنقاش والبحث والالتزام الإسلامي في الجماعة السلفية وسهر ودموع وبكاء لله تعالى لكي يهديني إلى الطريق الصحيح قررت التوقف وان أعيد حساباتي كلها، ولكن كان التوقف أزمة كبيرة فأنا ملتزم مع جماعة بشكل يومي في المسجد ودروس العقيدة والفقهاء والخروج للدعوة فكيف كنت اترك كل هذا فجأة وكيف احلق لحيتي ولا ارتدي الجلباب الزي الإسلامي، وكيف.. وكيف.. وكيف..

وماذا سيقولون عني بالذات وأنا لي علاقة بصديقي الذي اصبح مسيحياً، سيقولون أنني أصبحت مسيحياً مثله وتبدأ المشاكل ويبدأ الاضطهاد. ولكن رغم كل مخاوفي تلك لم أجد مفر من مواجهة الحقيقة وجه لوجه ولكن بمنطق وبحكمة وبعد أربع سنوات من البحث المضني لا يمتلك الإنسان إلا الاعتراف بنتائج البحث مهما كانت ضريبة هذا الاعتراف. وبالفعل قررت التوقف وبدأت أطلب من الله أن يعرفني الطريق الحقيقي فأنا الآن أكثر شك وأكثر اهتزاز من كل الماضي في عقيدتي الإسلامية وأكثر اقتناعاً بالمسيح.

ولكن رغم محاولات صديقي باسل لإيضاح كل القضايا والإشكاليات التي كانت تواجهني في المسيحية وعدم بأسه معي لمدة أربعة سنوات متواصلة شبه يومياً يتكلم معي عن المسيح بكل مثابرة وبروح متمليء بالجدية والثقة أصبحت أنا شبه مؤهل أن اقبل المسيح إليها ومخلصاً، ولكن كان يوجد شيء بداخلي ما زال لم يتشرب هذا الإيمان، ما زال الإيمان بالمسيح لا يملأ كل كياني فقلت لصديقي باسل إنني لا اعرف السبب فقال لي ولا أنا اعرف، ولكن هل تتق أن الله يعرف كل شيء وهو الوحيد القادر أن يجيبك وان يشبع كل مناطق الجوع التي فيك للحق؟

قلت له أتق

قال وأنا أيضاً أتق في الله لذلك دعنا نصلي له لكي يظهر ويعلم لك ذاته بموضوع فالله الذي نؤمن به اله قريب بحق، لا يسمع فقط صلواتنا، ولكن يتكلم معنا لانه حي ومتفاعل معنا ليس وهم أو إحياء نفسي نخدع به أنفسنا ونخدع به آخرين.

فقلت له أنا أؤمن بكل ما تقول يا باسل وبالفعل بدأت اصلي واطلب من الله أن يعلن لي عن ذاته بكل وضوح كضال يهديني.. وكعطشان للحق هو وحده القادر أن يرويني..

وكان هذا في سنة 1988 في ليلة من ليالي مارس الباردة جداً

قضيت طوال الليل في صلاة لم تنقطع.. ودموع لم تجف.. إلا عند اختراق الفجر لهذا الليل الطويل الذي كان يحمل مخاض الأربع سنوات.. فأنا متذكر كل تفاصيله رغم مرور إحدى عشر سنة عليه

كانت بالحق ليلة في قدس أقداس الإله.. أربع سنوات من الإرهاق ومن عدم الأمان ومن القلق..

رغم محاولاتني الدائمة لكي أرضي الإله لكي اشعر ولو للحظة واحدة أنه معي.. انه قريب مني.. انه يشعر بي ولكن على العكس ...

كنت ازداد إسلاماً فأزدد وحدة.. كنت ازداد طاعة فأزدد قلقاً.. كنت ازداد خشوعاً فأزدد خوفاً..

أربع سنوات بلا سكينه أو هدوء أو طمأنينة أو أمان.. رغم كل ادعائي أن اله الإسلام اقرب إلينا من حبل الوريد!!!!

ولكن ها أنا الآن رغم عدم اعترافي بالمسيح إلها.. ولكن اقترابي منه فقط وملامستي لهذب تعاليمه ورفع قلبي نحوه عوضني عن سنين القحط والوحدة والمرارة.. ملثني بالفرح والسكينه وبهدوء لا اقدر ان أوصفه وبأمان لم اختبره طيلة حياتي .

وفي الصباح الباكر كنت أريد أن أهول إلى الجميع إلى كل أهلي ومعارفي وأصدقائي لأقول لهم عن الكنز الذي اكتشفته عن الإله الحقيقي الذي عرفته عن يسوع المسيح الذي احبني فعشقتة.. وبالفعل ذهبت إلى باسل وحكيت له كل قصتي من بدايتها وحتى نهايتها وكأنه لا يعرفها وكان باسل ليس في حالة الإصغاء التي تعودت عليها ولكن كانت دموعه تسقط بغزارة ولسانه لم يتوقف عن الشكر لله كأم كان يستقبل مولوده وكأب ينتظر أربع سنوات عند مشارف المدينة عودة ابنه الضال.

مظفر

توبة أمام جامع

♣ هذه قصة اهتدائي إلى المسيحية ، أسمى إبراهيم.. وكم أعتز باسمي العربي إنه اسم أبي الأنبياء وأسمى الجديد الآن تيموثاوس لكن هذا لا يغير من واقعي إني إبراهيم، أبو خليل، ابن الفلاحين البسطاء الذي تربى على الحصيرة واللمبة نمرة خمسة والجبن القريش والمذاكرة على التربة والجلابية البيضاء التي لازالت ألبسها حتى الآن.

في طفولتي قبل دخولي المدرسة الابتدائية، اصطحبتني أمي باليد وأودعتني إلى كُتاب القرية. وهناك تعلمنا القراءة والكتابة وحفظ القرآن على يد الشيخ حسني. وفي آخر الأسبوع كان يتقاضى منا (بريزة) عشرة قروش على بعضها، في الكتاب ترسخ في ذهني وقلبي طاعة الله فاطر السماء والأرض. وما إن بلغت المرحلة الإعدادية حتى أزداد اهتمامي بملفات الذكر في المساجد. في بداية مشوار التدوين، بدأت أحضر حلقات

العبادة الصوفية لجماعة سيدي العارف بالله محمد ماضي أبو العزائم. كنا نهم في ذات الرسول مبتهلين
(نظرة ومدد يا رسول الله).

و ذات يوم عقب صلاة المغرب بمسجد المحطة، أقترب منى رجلان وتعرفا علي، فكان الأول اسمه
(محمد أبو إمام) والآخر (سليمان)، قال أحدهم حرماً فرديت: جمعاً إن شاء الله. رأيت فيهما طيبة لا أنساها
وحرص شديد على إرضاء الله سبحانه وتعالى، متزودين من خير الزاد وهو التقوى. تعرفت على بقية
أصدقائهما، ذلك أنهم قوم تحابوا في طاعة الله، فبهزني منهم ذلك الترابط العجيب. كانوا خيرة شباب بلدنا
توسموا في ذلك الولوج الشديد بعبادة الله ومقدرتي على الخطابة.

كنت ألقى خطبة تلي خطبة أمير جماعتنا، وذلك في الاجتماع الذي كان يعقد في الاثنيين الأول من كل
شهر عربي. لا تستغربوا إذا قلت لكم أنني بدأت الخطابة في المسجد وأنا لم أتجاوز الرابعة عشر من عمري.
لا لوم علي إن فعلت هذا، الشافعي رحمه الله كانوا يستفتونه وعمره 6 أو 9 سنوات، أذكر أنني أول ما وعظت
به في المسجد كان حول الطريقة المثلى للاحتفال بالمولد النبوي، كنا نجتمع على الصوم والإفطار في
المسجد جماعة إن شاء الله، مقتدين بالرسول في كل شئ حتى في أصغر الأمور "كطريقة مشيه وتعوذه
وطريقة الأكل والشرب والملبس.. الخ". فأنا أدين لهؤلاء الأخوة بتشجيعي على القراءة والبحث والاستقصاء،
وبسبب هذا وصلت إلى ما أنا عليه الآن.

في يوم فوجئت بأحد أصدقائي يقول لأبي إن إبراهيم أحد الخطباء في الجماعة السنية، وأنه يحضر معهم
اجتماعاتهم العلنية والسرية، فتضايقت لأن هذا الصديق الذي قال لأبي ذلك هو نفس الشخص الذي شجعني
في البداية أن ألتزم بالدعوة الإسلامية وأن أصبح عضو في جماعة الأخوان المسلمين فاندعشت!. لأننا كنا
نجول معاً من مسجد إلى مسجد لنشر الدعوة. كم كنت أتمنى لو أن والدي حاضر في المسجد أثناء إلقاءي
الخطبة.

ولكن بعد إفشاء سري لوالدي أصدر والدي إلي التحذيرات والتهديدات المرة تلو الأخرى لعلني أترجع عن
موقفي وأبتعد عن الإخوان المسلمين. لأننا كجماعة أصبحنا معروفين إلى هذا المخبر الذي يدعى محمد
منصور الذي ينقل كل أخبارنا وتحركاتنا إلى مباحث أمن الدولة، كان يسجل خطبنا ويسلمها لمكتب أمن
الدولة في المنطقة. كنت أشعر بشيء من الزهو بنفسي والأخ عبد الحكيم سالم يسجل خطبي في المسجد،
لكن لا أنا ولا أبي كنا فرحين بأن أسمى وصل إلى أمن الدولة، عندئذ ضاق بوالدي الأمر خوفاً على
سلامتي، فذهب إلى الإخوان المسلمين في الجامع وصرخ فيهم أمام الناس أن يبتعدوا عني. ثم أتى إلي
وضربني وكسر أسناني، إلى الآن السنة الأمامية مكسورة وتحمل ذكرياتي مع الإخوان المسلمين، ولأول مرة
في حياتي حرق والدي كتيبي الدينية خوفاً علي من (الجماعة السنية) ثم حلف والدي علي بالطلاق لو
أنني إستمررت في دخولي جامع السنية هذا مرة أخرى، فأستر حمته أن يأذن لي أن أجلس خارج الجامع
حتى أستمتع إلى شيوخ الإخوان المسلمين دون أن أنقض يمينه. فكان يجلس إلى جوارى خارج المسجد وأنا
كلي أذان صاغية.

لم يوقفني التهديد ولا الوعيد عن نشر الدعوة الإسلامية، فكنت أقف بين زملائي في طابور الصباح كل يوم
خطيباً إسلامياً جهورياً. في ذلك الحين فرضت الحجاب على أختي وأحجمت عن مصافحة النساء والاستماع
إلى الغناء خوفاً من أن يصب الله الأثك (أي الرصاص المسكوب) في أذني يوم القيامة كما حذرنا الرسول.
تعرضت لكثير من السخرية والاستهزاء من الجيران لاجتهادي على تطبيق القرآن والسنة النبوية بحذافيرها.
فما ذنبي إن كانوا قد قالوا لي أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وأن (الإسلام هو الحل)؟!!

وبينما أنا أجاهد على نشر الدعوة الإسلامية خطر على بالي هداية أصحابي المسيحيين إلى الإسلام لعلي أفوز معهم عندئذ بالجنة.

ولو سألتني في ذلك الوقت عن رأيي في النصارى لأجبتك بأنهم كفار ومشركين ولكني اكتشفت من داخل القرآن نفسه عكس هذا الكلام لما جاء في سورة المائدة آية 82: [لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة لذين قالوا أنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرونا]. بموجب هذه الآية فصل القرآن ما بين النصارى وما بين الذين أشركوا. فلو كان النصارى من المشركين لما فصل بين الاثنين.

أيضاً في سورة البقرة 62 يشهد القرآن للنصارى بالتوحيد والحق: [إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين] من أمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] حاولت إقناع المسيحيين بالإسلام سواء التقيت بهم في المدرسة أو في المناطق المجاورة لنا أو عن طريق المراسلة التي أشعلت الصراع الديني في داخلي وجعلتني أقارن بين الإسلام والمسيحية من فيهم الصواب ومن فيهم الخطأ، من فيهم طريق الله ومن فيهم طريق الشيطان لمدة عامين كنت أصارع.. كثير من الأوقات قررت فض هذا الصراع الداخلي بأن أتوقف عن مطالعة الكتب المسيحية والاكتفاء بتلاوة القرآن مع مطلع كل صباح جديد والسير على هدى النبي. أردت راحة البال مطيعاً لله مخلصاً له الدين.

و ترتب على ذلك إني تخلصت من كتبي المسيحية حتى أكون مسلم موحد بالله.

لكن الله عز وجل لم يتركني وحالي، فكان ينخسني في منامي بروحه القدوس، فإذا ما أويت إلى الفراش لم يهدأ لي بال ولم يرتاح لي ضمير، قضيت الليالي الطوال بلا نوم أو راحة.

تساءلت: " لو أن محمد فعلاً خاتم الأنبياء فلماذا لا يأتي في آخر الأيام بدلاً من المسيح حكماً مقسطاً عدلاً، ويكون بذلك محمد أحد علامات الساعة لا المسيح!!"

وما السر وراء عظمة المسيح من بين كل الأنبياء حتى صار هو مركز التاريخ؟ ألسنا نقول بأن هذا الحدث التاريخي حصل قبل الميلاد وذاك الحدث حصل بعد الميلاد [ق.م، ب.م.؟] ما السر وراء عظمتك يا عيسى يا ابن مريم؟

هذه الأسئلة وأكثر منها جعلتني أقرر عقد مقارنة بين المسيح ومحمد، [وبعد وقت من المقارنة اكتشفت أنها مقارنة غير عادلة حتى في القرآن]. ففي قلب القرآن نفسه لا تجد المسيح يستغفر الله على آية خطية أو ذنب كما فعل باقي الأنبياء والمرسلين، (لأن المسيح صدق حينما تحدى قادة اليهود قائلاً: "من منكم بيكتني على خطية؟ في حين أنه هو الذي وبخ اليهود على تقواهم الزائف حينما أمسكوا بامرأة تزني في ذات الفعل، وقال لهم: "من منكم بلا خطية فليرجمها أولاً بحجر" فانصرفوا عنه وضمايرهم تبتكتهم).

على العكس من ذلك وجدت محمد شأنه كشأن باقي البشر بحسب القرآن نفسه مساوٍ لهم في كل شئ في ذنوبه وعدائه للكفار وموته مثل كل البشر، جاء في سورة محمد 47 : 19 [وأستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات]، وفي سورة الفتح 48 : 2 [ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر]، وفي سورة الإسراء 17 : 74 [ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً]. جاء في أسباب النزول للإمام السيوطي الآتي: "وأخرج عن محمد بن كعب القرظي: أنه صلى الله عليه وسلم قرأ "والنجم - إلى - أفرايتم اللاتي والعزى فألقى عليه الشيطان: تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فنزلت فما زال مهموماً حتى أنزل الله: "ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله" السيوطي أنهى. كان هذا سبب نزول الإسراء

73 : 74 [وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لا اتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً]. لم أجد في الإنجيل ما يقول إن المسيح كاد أن يركن إلى المشركين لولا أن ثبته الله. السبب في ذلك هو ما تعلمته من دراساتي بأن المسيح هو كلمة الله. وبما أن الإنجيل قد دون باليونانية ويعلن لنا أن المسيح هو كلمة الله من زاوية أنه عقل الله المعبر.. فالمسيح هو عقل الله. والله وعقله ذات واحدة ، لا تجزئة ولا انقسام ولا انفصال، فالمسيح الكلمة المتجسد هو الله الظاهر في الجسد حيث لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين.

كل هذه الأفكار كانت تدور في عقلي، ولكنها كانت تتصارع في قلبي، لأنني كنت أخاف أن ينزل علي غضب الله، (غضب الله الذي ينزل على القوم الكافرين) لذلك من الأعماق صرخت وأنا ساجد في المسجد وفي البيت صرخت وقلت: يارب اظهر لي الحق. لو الحق مع محمد سأتبعه حتى الموت. ولو الحق مع المسيح فسوف أتبعه أيضاً حتى الموت.

وسوف أعيش لك بالكامل وأخدمك يارب كل أيام حياتي مهما كان الثمن. ظللت أدعو الله بهذا الدعاء حتى تراءى لي المسيح في رؤية في حلم وقال لي بصوته الحنون: "أحبك". تأملت في شدة محبة المسيح المضحية إذ بموته على الصليب قد افتدانا وكفر عن سيئاتنا، وقلت له ودموعي تنهمر على خدي: أحبك: وأعرفك: وأعرف أنك الألف والياء وأنت أجلي أبدي والبدآية والنهآية،

كنت كطفل يرقص من شدة الفرح مسبحاً الباري سبحانه وتعالى لأنه وهو قاضي العدل الديان قد قضى أمره عز وجل أن يموت ابنه لثلاث نموت في جهنم، ونصير من الخالدين فيها. نحن لا نقول إن الله سبحانه وتعالى له ولد من صاحبة والعياذ بالله. كل من يقول إن الله سبحانه وتعالى له ولد من صاحبة (أي زوجة) نعتبره كافراً بالله لأنه ما أتخذ الرحمن صاحبة ولا ولداً، نحن نقول إن المسيح ابن الله كولد النور من النور والشعاع من الشعاع فهي بنوة روحية، فنحن المصريون أبناء النيل ومنها لا نفهم أن النيل قد تزوج. ليست كل بنوة أو ولادة تناسلية لذلك نقول في قانون الإيمان عندنا: "ونؤمن برب واحد يسوع" المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان... في الوقت الذي نشهد فيه أن لا إله إلا الله ولا نشرك بعبادته أحداً. وما هي إلا أسابيع قلائل حتى تعمدت في السادس من سبتمبر لعام 1987 في بيت قسيس فكانت المعمودية في قلبي تاريخ ميلادي الثاني وأنا أكتب لكم هذه السطور بخط يدي، وقد مضت إحدى عشر سنة على اعتناقي المسيحية قد أوصيت زوجتي أن يكتبوا على قبوري عندما أموت عبارة

"المسيح منتصر". أجل كل من في الأرض فان ويبقى وجه المسيح ذو الجلال والإكرام. كل الأنبياء قبورهم موجودة الآن ويحجون إليها أما قبر المسيح فهو فارغ لأن المسيح الآن في السماء ملكاً منتصراً، لأنه بموته على الصليب دان ذلك الذي له سلطان الموت. لك المجد يا حبيبي يا يسوع.

قام أقرب أصدقائي بسرقة مذكراتي "الأجندة" وسلمها للأخ سليمان الذي تأمر مع أصدقائي لفضحي، فدبروا لي مكيدة، وصوروا مذكراتي التي تشرح إيماني بالمسيح ووزعوها على أهل قريتي وبالفعل فضحوني (لكنهم أرادوا بي شراً والرب أراد بي خيراً) كما فعلوا أخوة يوسف الذين رموه في غياهب الجب: فكلما الله تقول " كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ".

وأصبحت عائلتي نشعر بالخزي والعار، فلم تكن والدتي قادرة على السير بين الناس، إذا صاروا يشيرون بأصابعهم عليها بأن ابنها جلب عليها العار وصار مسيحي، فقالت لي أنها قد تبرأت مني ليوم القيامة. لم يكسر شيء قلبي سوى الجرح والمهانة والذل الذي سببته لعائلتي ووالدتي ولكن ما الحل؟

لا: مستحيل أن أترك إيماني بالمسيح، رغم حبي لوالدتي الذي يزداد يوماً بعد يوم مهما ضربتني بحداثها على رأسي، وفي يوم لبست والدي الملابس السوداء لإعلان الحداد وقالت للجميع أن أبنني إبراهيم مات، وذات يوم أجمع أهل القرية لتعذيب وضربي ولاستتابتي لكي أرجع للإسلام وكان ذلك أمام أمي وعائلتي، وركعت أمي وسجدت على ركبتيها راجية تتوسل إليهم ألا يؤذوني فداسوها بأقدامهم وأمي المسكينة تصرخ أسفلهم وهم يقولون (فضحتمونا.. فضحتمونا)، وفي قلب هذا الانتهاك صرخ أحد شيوخ القرية قائلاً: ما ذنب المرأة الضعيفة في ابنها الذي أختار طريق الكفر، ما ذنب أمه؟

فأشكر الرب لأنه لولا الرئيس عبادي، لكنت اليوم في مقابر الشهداء، وبدأ جميع أصحابي في الابتعاد عني لأنهم رأوا أنني سأجلب العار عليهم، ويصيرون مشبهين. ومن هذا الوقت صرت نزيل مشهور في نقطة البوليس وفي مباحث أمن الدولة، وكان لا بد أن أبيت عندهم حماية لي ولعائلتي من أهل قريتي الذين ثاروا وهاجوا وأرادوا حرق منزلنا، وحرقوا كتبتي المسيحية، والبوليس صادر ما استطاع من كتبتي ومذكراتي وكأنه يصادر أملاك مجرم مخدرات،

وفي ذات يوم كانت توجد رقابة بوليسية حول البيت بما لا يسمح بدخول أي شئ يتعلق بالمسيحية إلى بيتنا، لكن كلمة الله لا تقيد، فجاءتني كلمة الله في ورقة صحيفة مسيحية حيث كانت الطعمية ملفوفة في الصفحة الأولى من الجريدة وكان مقال للبابا شنودة ومنه كرر آيات مثل "لا تخف لأنني معك" وأيضاً "لا أهملك ولا أتركك، تشدد وتشجع، لا ترهب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" آيات من الإنجيل تخترق هذا الحصار البوليسي لتشدني وتشجيني وتعزديني في وقت أنا في ذروة الاحتياج لمعونة الإله وكانت هذه الآيات بمثابة تأكيد من السماء لي.

في نفس اليوم الذي جاءت فيه ورقة الصحيفة هذه طرق باب بيتنا مخبر من أمن الدولة ومن الرعب قام أحد أفراد أسرتي بخطف الورقة مني بما فيها من آيات التعزية من الإنجيل وحرقوها في النار. وفي اليوم التالي وجدت نفس ورقة الصحيفة في الشارع الذي يوجد بجوار بيتنا، كانت والدي تستيقظ كل يوم في الرابعة باكراً كل صباح تتوح وتتن ضارعة إلى الله حتى أرجع إلى الإسلام.

نعم لا يوجد في المسيحيين شئ أغلى من أمي، أمي عندي أغلى من أي مسلم أو مسيحي لكن هناك من هو أغلى عندي من أمي ومن حياتي بالكامل: وهو سيدي يسوع المسيح. إن كنت لا أحبه أكثر من نفسي فلا أستحق أن يكون لي نصيب معه. جربت والدي كل حيلة على وجه الأرض لإرجاعي إلى أحضان الإسلام فذهبت إلي الشيخة لكي تعمل لي عمل "أي سحر" ولاسيما إن الجن قد آمنوا بالقرآن". ولسوء حظ الشيخة إنني كنت أصلي إلى الله عز وجل باسم يسوع المسيح ذلك الاسم الذي يرفع الجن بشدة فلم يؤمنوا به لذلك قالت الشيخة لوالدتي هذا الكلام بالحرف الواحد: "أبنيك ماشي في طريق عمره ما ها يسيبه".

وقصص عجائب الله معي كثيرة وأتشجع كلما تذكرتها وكلها علامات على الطريق أرى فيها حنان الله الأبوي يحملني من البداية في الطريق التي سلكتها حتى جاء بي إلى هذا المكان لمدة عشر سنين والله لم يتخلى عني ولو للحظة واحدة. وللحديث بقية.

إبراهيم

موت المسيح حسب العقيدة الإسلامية

1- لماذا يرفض المسلمون موت المسيح؟

ينقسم المسلمون في رفضهم موت المسيح الى ثلاث فئات:

الاولى: وهم عامة المسلمون وهؤلاء لا يرفضون فقط موت امسيح بل حتى مجرد مناقشة الفكرة ذاتها، وهذا من حقهم وحق كل صاحب فكر مثلهم نحو ما يفتكر، لكن الغريب هنا اننا لانجد مبرر واضحا لرفضهم هذا، فمثلا ماذا يضرهم ان كان المسيح قد مات حقا؟، وانك اذا سألت اي مسلم منهم لماذا ترفض او تعترض على موت

المسيح؟ فانك لن تجد اجابة واضحة سوى انه تلقائيا سوف يقرأ عليك الآية التي تقول " وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " ¹

الثانية: وهم الاصوليون ويرفضون موت المسيح من منطلق ان المسيح لم يفعل ذنبا قط، وكيف يسمح الله ان يميته نيابة عن المذنبون وهذا يتعارض مع روح النص القرآني الذى يقول " ولا تزر وازرة وزر اخرى " ² والذى معناه ان لا تعاقب احد بذنوب الآخرين.

الثالثة " وهم فرقة من الاصوليين لكنهم ذهبوا لابعدهم منهم اذ قالوا: ان كان المسيحيون يقولون ان المسيح هو الله فهل من الممكن ان يموت الاله؟ وان كان الله ان يموت فمن يكون له الامر من بعده؟ وسوف يكون محور حديثنا عن موت المسيح حسيب العقيدة الاسلامية عبارة من مناقشة هذه التساؤلات التى تدور لدى الفرق الثلاث.

وفي نقاشنا هذا سوف نبدأ على عكس المتوقع اذ اننا سنبدأ بمناقشة القول الثالث اولا ذلك لاننا لن نجد معاناة فى ذلك فهؤلاء الذين يرفضون موت المسيح لانه اله ، لا يدركون حقيقة شخصية المسيح ولكى يفهموا او يدركوا جواب سؤالهم عليه ان يدرسوا اولا معنى التجسد، وحقيقة تجسد الله، اما قولهم انه ان كان المسيح هو الله ومات فمن كان يدير امر الكون آنذاك فتلك حقيقة مردود عليها بسؤال بسيط محوره حديث صحيح رواه البخارى وملم والترمذي وفيه " عن عبد الله بن عمر ان رسول الله قال: ان الله ينزل الى السماء الدنيا فى الثلث الاخير من الليل فيجول قائلا هل من تائب فاتوب عليه؟ وهل من مستغفر فاغفر له؟ فالقول بان الله ينزل معناه انه ترك مكانه فى السماء وعليه نقول من كان يدير امر الكون فى السماء وقت وجود الله على الارض؟

وردنا على اصحاب القول الثاني، الذين يرفضون موت المسيح لانه ضد روح النص الذى يقول: ولا تزر وازرة وزر اخرى " ولهن نقول: لقد جاء فى سورة البقرة آية 54 " واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخاذكم البعل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم"

وهنا ننقل ما جاء فى تفسير اب كثير بدون حذف او اضافة ثم نعلق على ذلك للربط بينه وبين ادعائهم برفض موت المسيح، قال ابن كثير فى تفسيره المعروف بتفسير القرآن العظيم ج 1 ص 92: عن سعيد بن جبير ومجاهد قالوا: عندما علم بني اسرائيل بحكم الله قام بعضهم الى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحنو

¹

²

رجل على قريب ولا بعيد حتى الوى موسى بثوبه (اي اشار) فطرحوا ما بأيديهم فكشف عن سبعين الف قتيل وان الله قد اوحى الى موسى ان حسبي قد اكتفيت فذلك حين الوى موسى بثوبه، وقال السدى نفس الكلام وكذلك قتادة حتى دعا موسى وهارون ربنا قد اهلك بني اسرائيل ربنا البقية الباقية فامرهم الله ان يلقوا السلاح وتاب عليهم فكان من قبل منهم من الفريقين (الذين عبدوا العجل والذين لم يعبدوه اي الخطاة وغير الخطاة) شهيدا ومن بقي مكفرا عنه بدم من مات، وهناك اثر من رواية حول نفس الموضوع يمكن لمن يرغب ان يسطع عليها الرجوع للمرجع المشار اليه.

تعليق:

الواضح هنا ان البعض من بني اسرائيل لم يشاركوا البقية في عبادة العجل اي لم يرتكبوا اي ذنب ورغم ذلك ماتوا امتثالاً لامر الله ليكونوا كفارة للخطاة الذين نجوا من الموت، ترى الا يتعارض ذلك مع روح ومضمون النص "وا تزر وازرة وزر اخرى"؟ كذلك لماذا يموت من لم يفعل خطية ليكون كفارة عن اخطأ؟ ان الجواب الذي يمكن استنباطه من ذلك هو نفس الجواب الذى يمكن تطبيقه فى مسألة المسيح.

نعود الان للرد على اصحاب الرأي الاول الذين محتجون بالآية التي تقول "وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم"

التعليق:

اولا لنذكر الآية كاملة "وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما"

1- ان الضمير فى قولهم، قتلنا، قوله يعود على اقرب المذكورين حسب القاعدة اللغوية المعروفة واقرب المذكورين كما بينه الآية 156 السابقة لهذه الآية هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهذا يعني ان اليهود والنصارى هم الذين قتلوا المسيح حسب هذه الرواية وهذا غير صحيح، فالمعروف ان اليهود والنصارى ان كانوا قد وجدوا آنذاك لم يكن بين ايديهم اي سلطان ليس فقط سلطان اصدار احكام الموت والصلب بل كانت السلطة على عمومها منزوعة منهم لايدي الرومان المحتلين لاورشليم وبلاد اسرائيل كلها وعليه فتلك مخالفة تحسب على النص القرآني.

2- ان النص يذكر لفظ "وماقتلوه وما صلبوه" مستخدماً واو العطف على سبيل التفريق بمعنى ان المسيح قد تعرض للقتل ثم صلب وهذا خطأ فقد كان الصلب هو طريقة تنفيذ حكم الموت الذي تصدره الحكومة الرومانية اي ان المسيح مات مصلوباً وبدون الصلب لم يكن ليكون هناك موت للمسيح وهذه مغالطة ثانية تؤخذ على النص القرآني.

3- ذكرت كتب التفسير اسباب متباينة في سبب نزول هذه الآية فعلى الرغم من سكوت القرطبي وابن كثير عن ذكر اي سبب لنزول هذه الآية على خلا ما هو معروف من اقتران كل آية في القرآن بسبب نزول لها نجد الزمخشري صاحب الكشاف يذكر سببا عجيبا لنزول هذه الآية اذ يقول:

ان رهطاً من اليهود سبوا المسيح وأمه فدعا عليهم: اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبني وسب والدتي، فمسخ الله من سبهما (المسيح وامه) قرده وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فابلغه الله انه سيرفعه اليه*، فهذا خطأ من عدة وجوه اهمها ان المسخ هذا قد حدث بين اليهود في زمن موسى لا عيسى عندما اعتدوا في السب اي خالفوا حكم الله بالتوقف عن العمل يوم السبت ما جاء في الآية "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قرده خاسئين" ** كذلك المعروف ان المسيح كان وجيها في الدنيا والآخرة واتاه الله البيئات وايدته بروح القدس وهذا كله يمنعه من أن يلعن احد حتى ولو كان اليهود@

4- تذكر الآية ان اليهود والنصارى قالوا انهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله وهذا عمة الخطأ فاليهود لم يؤمنوا ولم يقبلوا المسيح لا كرسول ولا كمخلص، والنصارى هم طائفة لم تظهر الا بعد 50 سنة من رفع المسيح@

5- تضاربت النصوص والتفاسير التي تكلمت عن هذه الآية تضارب يحمل الكثير من الشك والاضطراب والاقوال كثيرة ونحن سنكتفي بواحدة من هذه الاقوال ننقلها بالحرف الواحد من كتاب ابن كثير ج1 ص 576 وهناك المزيد من الروايات لمن يريد الاضطلاع، فقد روى ابن جرير عن وهب انه قال: ان عيسى ابن مريم لما اعلمه الله انه مفارق الدنيا (الى الموت) جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ارجلهم بثيابه فتعاضموا ذلك وتكارهوه فقال لا من رد على شيئا مما اصنع فليس مني ولا أنا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال: اما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة، فانكم ترون أني خيركم فلا يتعاضم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم

نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم، وأما حاجتي الليلة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا انفسهم للدعاء وارادوا ان يجتهدوا اخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله اما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها؟ فقالوا: والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطبق الليلة سمرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه، فقال يذهب الراعي وتفرق الغنم وجعل ياتي بكلام مثل هذا يعني به نفسه. ثم قال الحق ليكفرن بي أحكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعي احكم بدرهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود وأخذوا شمعون احد الحواريين وقالوا: هذا من اصحابه فجدد وقال ما انا بصاحبه فتركوه، ثم أخذه آخرون فجدد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى واحزنه فلما صاح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال: وما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه فاستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون له انت كنت تحيي الموتى وتنهر الشيطان وتبرأ المجنون افلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى اتوا به الخصلة التي ارادوا ان يصلبوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا ثم أن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى عليه السلام فابراها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءهما عيسى فقال: ماتبكيان؟ فقالتا عليك فقال: اني رفعتك الله اليه ولم يصبني الا خيرا وان هذا شبه لهم فأمرى الحواريين يلقوني الى مكان كذا فلقوه الى ذلك المكان احد عشر وبقوا الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه اصحابه فقالوا: انه ندم على ما صنع فاخنتك وقتل نفسه فقال: لو تاب لتاب الله (فتسير ابن كثير ج 1 ص 575) تلك هي احدى الروايات التي نقلناها بالحرف الواحد من المرجع المشار اليه ولمن يرغب يمكنه الرجوع اليه

تعليق: 1- رغم ما بهذه الرواية من مغالطات فلن نتعرض اليها، لكن لنا بعض التعليقات على هذه الرواية ومن هذه التعليقات: تقول الرواية ان الله قد أخبر المسيح انه سيموت، وان المسيح قد جزع من الموت، لذا فلا بد أن يموت المسيح اتماما لخبر الله الذي لا يبديل القول لديه والا لقلقنا ان ارادة المسيح كانت فوق ارادة الله@

2- ان المسيح قد طلب من اصحابه ان يدعوا له ان يؤخر الله اجله، لكن ارادة الله كانت تنزل على الحواريين بالنوم العميق حتى لا تسمع طلبتهم ولا يموت المسيح وقد وضح ذلك من جواب التلاميذ للمسيح من انهم كانوا كلما دعوا حيل بينهم اي ان مشيئة الله في موت المسح لم يكن ليعطلها شيء

3- يذكر النص ان المسيح القى شبهه على احد الحواريين قبل ان يذهب الى الصليب وفي آخر النص يذكر عكس ذلك فيقول ان المسيح وضع على الصليب فرفعه الله وصلب شبيهه

4- يذكر النص ان اليهود لم يقبضوا على المسيح الا بعد ان استوتقوا منه وهذا يعنى انهم قبضوا على المسيح وليس شبيهه

5- يذكر النص ان المسيح بعد ان رفعه الله اليه قد عاد ثانية بعد سبعة الياوم وتكلم مع مريم وتقابل مع التلاميذ فكيف به وقد رفعه الله اليه ينزله مرة ثانية للأرض ؟

6- يذكر النص ان الذي خان المسيح وأسلمه لليهود قد انتحر وخنق نفسه، وآخر قد صلب بدلا عن المسيح وبالتالي فيكون الباقي من اصحاب المسيح الاثني عشر عشرة فقط لكن النص يقول انهم احدة عشر ويعترف بموت الذي خان ولم يذكر شيء عن اخذ شبه المسيح؟

7- اخيرا كل تلك التعليقات، بل النص ذاته لو تمعنا فيه لوجدنا ما لا يدع مجالا للشك أنه دليل ثابت على موت المسيح. ذاك هو ما اردنا ذكره بخصوص الآية 157 من سورة النساء لكن البحث في مسألة موت المسيح لم ينته بعد فهناك أدلة أقوى من ذلك وسوف نناقشها في السطور التالية:
أدلة موت المسيح:

لدينا في ذلك آيتان تذكران ذلك بوضوح تام: الأولى "اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومكهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة @@" آل عمران 55

والآية الثانية " اذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه..... ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت

انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد " المائدة 117، 116

هنا نبدأ اولاً بذكر ما قاله المفسرون والعلماء حول هذه الآيات ثم نستعرض معا تعليقتنا عليها، بخصوص آية ال عمران، جاء في تفسير ابن كثير عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال: متوفيك يعني مميتك، وقال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار ثم رفعه اليه، قال اسحاق بن بشر عن ادريس عن وهب: اماته الله ثلاث ايام ثم بعثه ثم رفعه وعلى الجانب الآخر نجد ان هناك طائفة من العلماء رفضوا ان يكون المقصود بالوفاة هنا الموت بل قالوا ان معنى الوفاة هو النوم واحتجوا على ذلك بالآيات التالية،

الانعام 60 " وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار " المزمع 42 " الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت فى منامها فيسم التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك للآيات لقوم
يتفكرون "

التعليق:

اولا : الفعل توفى جاء من المصدر، وأي أتم وأكمل من قوله " او لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الى وفى
" النجم 37، وجاءت كذلك بمعنى اعطى واكمل العطاء مثل قوله "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم لا يظلمون " هود 1، وجاءت بمعنى النوم مرتين كما بينا من قبل فى سورة الزمر والانعام
وجاءت 24 مرة بمعنى الموت كالاتى:

1. ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم --- النساء 97
2. حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا -- الانعام 61
3. فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم - محمد 27

المسيح له مختارين

❖ منذ الصغر والدنا يعلمنا كيف نصلي وكنا نراه دائماً ملتزماً بذلك ، أبي وأمي شخصيات بسيطة لكنها أمينة في عبادتها وشكل حياتها. أبي موظف وفر لنا معيشة متوسطة الحال تعلمت أنا تعليماً متوسطاً (دبلوم تمريض) وحتى ذلك السن فأنا لم أعرف الكثير عن أمور ديني غير ما يجب على من التزم بالصلاة والحجاب، لم تكن المسيحية ولا المسيحيين يشغلونني. فقد كنت أستحرم أن أفكر في دين يتسم بالكفر وبعد تخرجي وعملي في مستشفى داخلي تعرفت على بعض البنات المسيحيات معي في الغرفة كما كان معظم الأطباء مسيحيين. ولأول مرة أتعامل مع أشخاص من هذا الدين، بل أعيش معهم فأنا كنت أخذ أجازة كل شهر لم أجد منهم غير كل حب ومعاملة حسنة على عكس توقعي فقد كنت أظن أنهم سيعاملونني بشكل سيئ نظراً لأنهم في المستشفى الأكثرية ونحن المسلمين الأقلية في العمل. فأنجذبت لهم وبدأت أسأل طبيب عن بعض الأمور الصغيرة التي تلفت نظري كصورة المسيح المصلوب مثلاً. وبدأ يجاوبني عن أسئلتني وطلبت منه أن أعرف أكثر فبدأ يعطيني شرائط وعظ تشرح لي أمور كثيرة كنت أسمعها دون أن يعرف أحد وعندما بدأت أقتنع ببعض الأشياء بدأ يلفت نظري لشخص المسيح في القرآن وحثني على البحث عن الآيات القرآنية التي تتحدث عنه وبالفعل بدأت أقرأ كل هذه الآيات وأتأمل في معناها فوجدتها تنسب للمسيح أمور لم تنسب لشخص أو لنبي آخر وجدت فيها صفات الله وشعرت وكأنني لأول مرة أقرأ هذه الآيات وكأن عيناى تنفتح على معان أعمق بكثير مما تربيت عليها، وبدأت قناعتي تزيد وبدأت أطلب من الدكتور الذي يتابع أخباري بأن يشرح لي معنى التثليث والصلب وبالفعل أجابني عن كل الأسئلة وكانت كل الإجابات تقول لي بأن المسيح هو الله حتى القرآن نفسه وصل لي تلك المعلومة وهذا المعنى.

سافر أستاذي الدكتور لمدة عام وأنا أكتشف وأتيقن كل يوم هذا الأمر حتى عايشته مع نفسي بالكامل وبدأت أصلي ليسوع كإله أعترف به! وفي يوم وأنا في عنبر الفتيات ليلاً وأنا جالسة على السرير أفكر في المسيح وفيما يجب أن أفعله حتى أتعهد وأغير ديني بشكل جذري وأعيش هذا الدين الجديد كل هذه الأفكار كان يتبعها صعوبة الموقف من حيث رد فعل الأهل لو عرفوا سوف أواجه صعوبات في كل حياتي.

وتعبت من التفكير فقررت أن أنام وفيما أنا مستلقية على السرير ولم أغمض عيني وكان نور الحجرة مغلق إذ بي أرى المسيح وكأنه في أرض واسعة يمد يده لي وكأنني في بحر عميق على وشك الغرق وحولي أناس كثيرين لكن لا أحد منهم ينقذني سوى المسيح! وتكرر المشهد ثلاث مرات ويعد ذلك عدت لوعبي وإذ بي في قمة السعادة وأعلن بصوت عال رأيتة. ظهر لي. وعندما سألني أصحابي ماذا حدث ضحكت وقلت لهم لا شيء.

لكني كنت أشعر أن هذه الليلة هي أسعد ليلة في عمري وشعرت بسعادة وفرح وسلام يغمرني لم أشعر به طيلة حياتي.

ومن هنا بدأت أواجه أزمة حقيقية بالفعل فأنا لم أنكر إيماني وهم يتهموني بالجنون ويأتون لي بالعrsan وأنا أرفض لمدة ثلاث سنوات إلى أن تقدم لي شاب وكان أهلي مصرين علي أنني أتزوجه وذهبنا في ذلك الوقت للإسكندرية لنصيف ولما كنا في المياه نلعب وجددت أبي وأخي يحاولوا أن يغرقوني ولما بكيت قلت لهم لماذا تفعلوا ذلك؟ فقالوا لي لن نميتك ولكننا نريك بأننا نستطيع أن نفعل ذلك إذا لم تتزوجي هذا الشاب وتراجعت عن ذلك الجنون الذي يسيطر عليك؛ وكذبت عليهم وقلت لهم بأني موافقة على العريس وبالفعل ألبسوني الشبكة ورجعت إلى عملي بالمستشفى بالمحافظة الأخرى وأني أثق بأن الأمور سوف تتغير ولكني في هذه الفترة قطعت اتصالي بهم ولا أدري ماذا سيحدث بعد ذلك. لكن ما أعلمه الآن هو أنني أحب المسيح وأعيش لأجله مهما واجهت من متاعب.

فاطمة

من المسيحية الاسمية إلى الإسلام

إلى المسيح

كم تؤثر فينا طفولتنا ومعتقدات الآباء وكيف يعيشونها، كيفية الحب والإخاء، كيفية وجودي في أسرتي، أذكر كل هذه الأشياء وكأنني مازلت طفلاً أحياءها. ذكريات بعضها مؤلم وبعضها لا يحزن ولا يفرح أيضاً، كثيراً ما كنت أرى مشاجرات أمي وأبي، لم تكن لي سوى أخت واحدة. كم نمنا والدموع في أعيننا بلا عشاء لشجارهم الدائم. أبي شخص ميسور الحال ووفر لنا كل سبل المعيشة الجيدة وساعدته أمي في ذلك، نحن أسرة مسيحية ولكننا لا نعلم ماهية مسيحيتنا أو لماذا، لم أتذكر مرة أن حاول أبي أو أمي أن يتكلما معي عن الله وعن مسيحيتنا، لم أتذكر مرة شجعونا على الذهاب للكنيسة كنت انطوائي ممتلئاً بالمشاكل النفسية إلى أن وصلت لسن المراهقة بدأت أقرر أن أعيش حياتي بشكل مختلف بعيد عن جفاء الأسرة. كانت أختي مثلي مليئة بالتمرد والكراهية ولكن كان لها من علاقات صداقة تستدفي بها فكانت تخرج وتمرح معهم، قررت أن أعيش مثل أختي لي علاقات لا يهم إن كانت علاقات رديئة أو سوية المهم أن يكون لي أصحاب ولي عالمي الخاص. تعلمت التدخين وشرب الخمر والسهر وإقامة علاقات غير شرعية مع بعض السيدات منذ أن كان عمري ست عشرة عاماً حتى عشرون عام. ولكني لم أجد ذاتي في كل ما أفعل فكل اللذات لا تتعدى سوى دقائق ولم تتحقق الأحلام والسعادة التي أتمناها؛ أصبحت منقسم شخص يمرح ويسكر ويفعل كل شيء بفرح. وكيان داخلي لا يمسه ولا يتذوق هذا الفرح .

لم يكن هناك أي علاقة بيني وبين أختي لكن كل منا كان يعلم ما بداخل الآخر فنحن مشتركان في الحزن والحرمان من حنان الأب والأم وفقدان سلامنا في البيت وأيضاً فقدان علاقتنا مع الله. فلم يكن الله يشغل أي جزء من تفكيره فلم أعرفه يوماً ولم يكلمني عنه أحد فالفكرة التي بداخلي عنه هو أنه خلقنا وتركنا فالله في عرشه في السماء منزله عن أن يتدخل في أمورنا نحن البشر لكن وضع أمامنا الصواب والخطأ، وهناك يوماً للحساب

سيمارس فيه الله سلطانه ووظيفته وهي عقاب الخاطيء وثواب المحسن فالله [خالق ومعطي الوصايا وسبحاسبنا عليها] لا أكثر من ذلك ولا أقل تخرجنا من الجامعة أنا و أختي والحال على ما هو وكان هناك بعض العرسان يتقدموا لخطبتها لكنها كانت ترفض بشدة وأبواي لا يعلما لماذا هذا الرفض وأنا أسمع ولا أهتم وفي يوم في حوالي الساعة الثالثة صباحاً كنت راجع للمنزل مخمور ووجدت أبي وأمي في حالة سيئة للغاية ولم أركز في البداية لتحديد حالتهم لكنهم حاولوا أن يفيقوني بأسلوب مهين جداً سب وشتائم ولا أعلم سببه فهم يعلموا بأن هذه حياتي. وعندما بدأت أفهم لماذا كل هذا الغضب فهمت بأن أختي لم ترجع حتى تلك الساعة المتأخرة بحثنا عنها وبلغنا عنها ولم نجدها، تأثرت جداً باختفائها رغم علاقتنا السطحية لكنني كنت أحبها وأعلم بأنها شريكة في آلامي التي لم نتحدث عنها معاً يوماً وبدأت أشعر بأن أبي وأمي في حالة من الانكسار رغم استمرار المشاجرات واتهام كل منهما للآخر بأنه هو السبب في اختفاء أختي ولكنني أرى الانكسار في أعينهم ولكنهم لم يصرحوا بذلك وبعد أيام لا تتجاوز شهر اتصلت بنا أختي وكانت المفاجأة!! أختي تزوجت من شخص مسلم ودخلت الإسلام وكان هذا ناقوس الخطر لي. من هو الله ماهي الديانة الحقيقية وكل ذلك لم أفكر فيه من قبل وما هو السبب الذي دفع أختي لذلك الأمر وما مغريات الدخول في الأيمان الجديد؟ أسئلة كثيرة دارت بداخلي وعندما اتصلت أختي مرة أخرى بكت أمي وترجتها بالرجوع كما ترجأها أبي لكنها قالت أنها مقتنعة بما ذهبت له وأنها غيرت أوراقها وأسمها لمسلمة وأنها حامل وتريد أن تربي أولادها على هذا الدين الإسلامي اندهشت لتمسكها هذا وطلبت أن أراها. وبالفعل أعطتني عنوانها وذهبت لها فرحبت بي واستقبلتني بحرارة لم أراها قبل هذا كما رحب زوجها بي جداً وبدأت أسأل عن تفاصيل ذلك الدين وبدءوا يشرحوا لي بعض الأمور الإيجابية فيه كما بدءوا يقنعوني بأن المسيحية ما هي إلا كفر وشرك بالله. وبما أنني لم أعلم شيئاً عن ديني الأساسي فلذا كنت سهل الاختراق أثروا علي بسهولة وتلقيت كل ما تكلموا به معي بسهولة وباقتناع فأنا لم يكن عندي ما أقارنه به وكانت معلوماتهم تدخل على عقلي الفارغ ونفسي المريضة. وأعلنت لهم اقتناعي ولكن طلبت فترة أقرر فيها حتى لا أندم فيما بعد. وبدأت أفكر ووجدت أن أختي تعيش سعيدة جداً وتؤدي فرائض الدين الجديد كلها ولكنني بدأت أسأل نفسي هل هي سعيدة حقاً؟ وهل تشعر من خلال هذه الفرائض التي تؤديها لله حقاً وهل يستجيب لها في هذا الدين؟ وكل هذا كان يدور في داخلي بصراع عنيف ولكن لم يعلم به أحد وبالفعل فقد اتخذت قراري لعلي أجد نفسي في هذا الدين الجديد ولعلي أجد الله أيضاً وأعرفه وبالفعل رتبت كل أموري وجهزت كل أوراقتي. وقبل أن أنام دق جرس التليفون وقامت والدتي بالرد عليه ثم قالت لي أنه تليفون لك وعندما رفعت سماعة التليفون سمعت ترانيم وموسيقى جذبتني جداً ، ووجدت سيدة تقول لي هل تسمح لي بمقابلتك الآن؟ اندهشت جداً وقلت لها هل أنت تعرفيني فأنا لم أعرفك من قبل؟ ولم أعطيك رقم تليفوني؟ وعندما سألتها عن سبب الزيارة فقالت لي أنني أريد أن أصلي معك. ملحوظة: أنني أعلنت لبعض الأصدقاء بأنني سوف أعتنق الإسلام وحتى أسرتي، فأنا لم أعد أخاف سلطتهم أو سلطة الكنيسة ولا حتى سلطة الله. فأنا كنت أشعر بأنني أتبع الله الصحيح في الإسلام فكان يهمني خلاص نفسي بعد الحياة الفارغة التي أعيشها.

كثيراً ما حاول بعض الأصدقاء أن يتكلموا معي أو يصلوا معي أو يأخذوني للكنيسة ولكنني كنت أرفض بشدة معلناً بأنني حر في اختيار قراري هذا!

ما حدث هذه المرة مع هذه السيدة كان مثير حقاً فقد قلت للسيدة أهلاً بك دون تردد وأعطيتها العنوان. وبعد حوالي ربع ساعة دق جرس الباب وبعد أن عرفتني بنفسها طلبت أن تصلي معي وبالفعل وافقت فقد كنت مطيعاً عن كل مرة يطلب مني أحد أن يصلي معي ولم أسألها حتى من الذي قال لكي عني. صمت غريب وأستجابة غير عادية وغير منطقية لكن هذا ما حدث. وبدأت تصلي معي ووجدت نفسي أبكي بشدة متأثر بكلماتها طالباً

من الله الحقيقي أن يقف جانبي إن كان ما أنا مقبل عليه هو الصواب وكان معها زوجها وأبنتها الصغيرة والأغرب أن طفلتها الصغيرة قالت لي بأنها ترى يسوع يسكب عليه ماء واندحشت لذلك وعندما سمعوها قالوا لي أن المسيح يعمدك أتى إليك لأنه يحبك ويريدك. وطلبوا مني أن أقابلهم صباحاً للذهاب معهم للكنيسة لأنني لا بد أن اصنع علاقة بشكل مختلف مع المسيح وأنه لا بد أن أتعلم كل أمور الدين وتركوني ومضوا على أن نتقابل في الصباح لكن لم أكن متيقناً تماماً حتى هذه اللحظة واتصلوا بي صباحاً فأعلنت لهم ترددي فأتوا إلي وأخذوني وفيما نحن داخلون الكنيسة قالت سيدة لي: أريد أن أقول لك شيئاً، ثم سكتت وترددت وعادت إلي بعد قليل تعلن لي أن يسوع يقول لك [أنا هو الطريق والحق والحياة] وبدأت أبكي متأثراً جداً بكل ما حدث مندهشاً أن الله يؤكد لي بطرق لم أتوقعها أنه بالفعل الطريق والحق والحياة وبدأت حياتي تأخذ شكلاً جديداً وبدأت أواظب على الكنيسة وبدأت أتعرف على الله من جديد الذي كنت أتخيله بعيداً في سماه لكنه أتى بنفسه ليخلصني لأنه يحبني. وبدأت أبتعد عن كل الأمور الخاطئة في حياتي (الخمر والزنى) قد بدأت أقيم علاقة جديدة مع أبي وأمي حتى قدتهم لعلاقة حية مع الله فكل شئ اختلف الآن كلنا نذهب للكنيسة ونصلي بالمنزل. لم يعد الشجار يأخذ مكاناً مثلما كان بل الإله المحب لمس كل فرد فينا ونحن الآن نصلي بلجاجة ونرفع صلاة من أجل أختي، طالبين من الله أن يعيدها إلينا.

اشرف

لاهوت المسيح

المسيح يتفرد عن باقي الرسل بما فيهم إبراهيم ومحمد بأمر خاصة فقد كان شريك لله في كل صفاته فنجد الآتي:

* الخلق في القرآن لم يماثله أي واحد في طريقة خلقه، لكن الأمر محتاج من الإنسان أن يكون هادئ ويستمع بأمانة وبإخلاص. فهم يقولون أن المسيح خلق من نطفة ودليلهم على ذلك بسورة مريم (فتمثل لها بشرا سويا قالت أني أخاف الرحمن منك إن كنت تقيا قال أنا رسول ربك لأهب لك غلاما تقيا) يقولون وما المانع أن يحدث جماع هنا إذن أنت هنا تهدم القرآن لأنه يقول (التي أحصنت فرجها) (ففنحنا فيه من روحنا"، وذلك جاء في أربع مواضع. وذلك فنحن نستبعد أن يكون حدث جماع لأن الذي يخص ذلك القرينة وهي أن مريم أحصنت فرجها إذن هذا الاحتمال مرفوض.

ماهى سورة البشر عند الله؟ هل خلق الله البشر أو نسل آدم وهم لديهم حاجز يمنعهم من الخطأ؟ بالطبع لا لان هناك حديث يقول " كل ابناء آدم خطاؤون " وان هناك حديث يقول " ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان بإصبعه

فيولي صارخا إلا عيسى بن مريم" وهناك حديث آخر يقول "مامن مولود يولد وإلا يطعنه الشيطان بإصبعه إلا عيسى بن مريم ذهب الشيطان ليطعن فطعن في الحجاب "وهناك حديث آخر يقول" ما من مولود يولد يلقي لله إلا عليه ذنب يعاقبه عليه إلا عيسى بن مريم" فالمسيح فقط هو الذى يحيط به حجاب. إذن لم يكن خطأ وبذلك فهو خرج عن القاعدة الأساسية وذلك بقولكم انتم. فهو إذن له طبيعة غير إنسانية وغير لاهوتية. وهذا بخلاف الملائكة محدودى القوى. ثم أن الملائكة نورانيين، فهو لا إنسان ولا ملاك فهل ممكن أن يكون الله فلو كان ذلك لأخذ صفات الله ولو لم تتحقق صفة فهو إذن لا يكون الله وبذلك يكون دليلنا ناقص. إذن ماذا قال الله عن ذاته من ناحية القدرة؟ البقرة 117 " وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون"

* وهنا نرى المسيح يستطيع أن يعمل مثل تلك الآية ففي كتاب ابن كثير البداية والنهاية يقول: أن المسيح كان يعمل هذه القدرة والدليل انه عندما كان عنده اثني عشر عام دعا الى عرس فحول الماء الى خمر بلفظة كن فيكون.

* الله يقول عن نفسه " قل لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله " وهنا حصر معرفة الغيب وقصرها على الله، وهنا القرآن يقول ذلك أيضا على المسيح فقال "وينبئكم بما تدخرون فى بيوتكم" وهذا غيب، فأحاديث موجود فى البداية والنهاية: يقال المسيح وأمه حينما نزلوا إلى مصر كان هناك شخص اسمه الدقان وكان ملك وقد استضافهم عنده وهنا اثنين من خدمه سرقوا مصاغ الملك فخافت مريم وخشيت أن يطردوها من القصر لكن الملك جاء للمسيح وطلب منه أي يخبره عن من سرق فقال له المسيح اجمع لي الحرس، فجمعهم له فاختر منهم اثنين واحد منهم أعمى والآخر أعرج وقال هؤلاء هم اللصوص يا سيدي فأنكر اللسان وقال له الأعمى كيف افعل وأنا أعمى وهذا كسبح! فقال المسيح لقد حمل الأعمى الأعرج ودله على المصاغ وأخذه وعلم مكان المصاغ وامرهم أن يحضراه فى الحال، وهذا غيب ولهذا فأكرمه الملك وأعدم اللصوص وأيضا فى البداية والنهاية كان المسيح يمر على النسا ويخبرهم بما فى بيوتهم من طعام، فالمسيح كان يحل الماء لخمير بكلمة كن فيكون، وكان يعلم الغيب

* أن الله خالق كل شئ ويقول فى سورة النمل "افمن يخلق كمن لا يخلق ما لم كيف تخلقون" فهل تساوى الله بالبشر؟ فالمسيح كان يخلق والقرآن يقول "انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فتصير طيرا بإذن الله " وهذه الطريقة مشابهة تماما لما فعله الله مع آدم وهي نفس القدرة على الخلق.

* الله لا محدود فهو لا يحده شيء وفي سورة يس "وسع كرسيه السماوات والأرض" قال احمد بن الفضل في كتاب الملل والنحل ص 27: ان هذا كان شخص المسيح الذى طالما حاول اليهود القبض عليه فكان يجوز من بينهم، بل أضاف أن المسيح كان يتراء للناس في أكثر من موضع وفي نفس التوقيت.

* يرسل الرياح ويمسكها: الأعراف 57 وقالوا المفسرون ان هذا ينطبق على المسيح عندما اخمد الرياح في السفينة عندما كادت ان تغرق بالتلاميذ.

* الله يقول " اني انا الرازق ذو القوى"، قالوا المفسرين ان المسيح اطعم اربعة الاف نفس من خمس خبزات وسمكتين، والقرآن قال "ويرزقكم باذني"

* الله لا يوجد لأحد سلطان عليه: ابليس قال " فبعزتك لاغوينهم أجمعين "فالمفسرين قالوا انه فشل مع المسيح فى تجربة البرية.

* يبرئ الاكمه والأبرص: حاول المسلمين تقليد ذلك بالرقى والتداوى بالقرآن ولكن ذلك فشل حتى محمد نفسه مرض بالحمى ولم يبرأ حتى صلى عليه شخص مسيحي، لكن المسيح كان يضع يده على المريض فيبرأ * لا تقوم الساعة حتى يأتي ابن مريم حكما عدلا يحكم بالقسط فابن كثير يقول والله هو الحاكم والقاضي الذي يقضي بالعدل.

* يحي ويميت: "الله يحي ويميت" سورة الانفال. ففي البداية والنهاية ص 84 يقول: المسيح كان يحي ويميت وتذكر هذه الحادثة ان المسيح كان يمر على القبور فوجد سيدة تبكي فسألها لماذا تبكي فقالت له بأن ابنتها ماتت وليس عندها غيرها فقال لها انا اقدر أن اقيمها لك، وقف أمام القبر وقال يا فتاة لك اقول قومي وانتظر قليلا ثم قال يا فتاة قومي ثم انتظر قليلا ثم قال يا فتاة قومي فانفتح القبر وخرجت في الحال الفتاة فقال لها ما ابطأك عندما امرتك بالخروج؟ فقالت له في المرة الاولى ردت الي روعي وفي المرة الثانية التئم لحمي على عظامي وفي المرة الثالثة اجبتك يا روح الله، ثم قالت لأمها يا أماه مالك تريدينني أن أقاسي الموت مرتين اصبري واحتسبي ثم نظرت الفتاة للمسيح وقالت له يا روح الله اعدني كما كنت فقال لها كوني كما قلت، فماتت وانغلق القبر

* دليل لغوي: التوبة 40 "وقالت اليهود بن الله وقالت النصرى المسيح بن الله بضاهون قول الذين كفروا من اهل الكتاب اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الله والله غفور رحيم "

سبب كفر الكفار هو اتخاذ الحبر والرهبان ارباب عبودهم بعيدا عما يريد الله والمسيح والوا حرف عطف
والمعطوف عليه يتبع المعطوف في كل شيء

ماذا بقي من مميزات الهية احتفظ الله بها لنفسه، لا العقل ولا المنطق يقول ان كل من يفعل هذا هو شخص
عادي

مقدمة

كتبت هذه القصيدة في لحظة اضطهاد من اجل ايماني بالمسيح (عندما يتجرأ مسلم ان يأخذ قرار الايمان
بالمسيح في نفس اللحظة يأخذ قرار حمل الصليب)

صامدون..... صامدون

إلى عار الصليب نذهب .. وعلى العار نثور

ومن الوحي نكتب.. وعلى الأرصفة ندور

ملحدون ملحدون.. بكل آلهة السلطة الغربية
بكل دوائر الموت السوداء.. بكل الخرائط الكئيبة
أوقفوا التابوت وقولوا للموت قم.. قم وانتفض
قم وانتفض من غبار الغفلة.. إلى جمال المدينة
ملحدون ملحدون.. بكل أضرحة الكتيبة
بهذا المولد الذي لا إمام له.. بهذا الشعر العجري
فما زال قلبي عذراء ثوري
وما زلت أقف بين صفوف الأطفال
في المدارس وعلى الأرصفة

وفي الأزقة وبين التروس .. وفي الكوارث
صامدون .. صامدون
مهما صنعوا من أنسجة خلايا الجسم نعشاً ..
مهما وضعوا في كل أغنية قنبلة ..
مهما أطفأوا فتيلتنا المدخنة ..
مهما أغلقوا حانات الفقراء ..
وجعلوا من الأحذية أطعمة
صامدون ... صامدون
بقلوبنا سنحارب
بقصاصات ورق الإنجيل سنحارب
بوعود المسيح لنا سنحارب
سنستخدم كل أسلحة الكون .. البيضاء
بالتسييح .. والصلاة سنحارب
صامدون ... صامدون
من غرف الإنعاش .. ومحطات الموت
ومن الزنازين الحمراء ستخرج الثورة
فيها ملايين العظام من عظمي
ملايين الجماجم من جمجمتي
تحمل حقائب السفر .. أكفان السفر
وقلبي العذري وزجاجة ماء من دمي ..
لا .. لن أعطش
برغم السفر طويل ..
والحزن طويل .. والثورة أطول
صامدون ... صامدون
مهما حاولوا الالتفاف حولنا
فكالقش يكونوا أمامنا

مهما زادوا الحصار .. مهما زادوا الحصار
فهناك دار خلف مليون جدار ..
فالثورة كائنة ..

وهذا الوجه الذي يحاصرنا وجه مهزوم
لم يتعلم الانتصار إلا على الطلقات الساكنة
تجمعوا تجمعوا وكونوا كالبنيان المرصوص
واعلموا أنكم شرفاء ولستم بلصوص
تجمعوا فقد حان الآن وقت الالتحام
واجمعوا كل الأغنيات الصغيرة .. فهذا ديناميت الحرب
واملئوا مخازنكم من القهوة ..
وأجنحة الطيور وأشعار النسور
فقد حان وقت الحرب .. فلا هروب ولا غرب
صامدون صامدون على نواصي الأزقة
وبين سطور الأوراق .. وعلى مذبح الإحراق
فحان وقت الحرب
فهم يريدون أن يذبحوا أبرام واسحق
فلا تهتزوا يا رفاق .. ولا تهربوا
نحن قادرون على امتلاكها
لا تتكروه مثل التلاميذ وقت الصلب
نحن قادرون يا رفاق ..
ونحن فوق الصليب ان نغني اغنية جديدة
وكل اغنية منا ..

تقدر ان تلد الف اغنية جديدة
الف شهيد على يد الطاغية نيرون
في الجب رجال .. او في أي اتون
نحن بالمسيح قادرون على امتلاكها

فليعلوا الصوت

فنحن صوت صارخ في البرية

صامدون.. صامدون يا رفاق

ولا تصمت أيها الصامت الثوري.. في أي مكان

ولتتكسر زجاجة الصمت في فمك.. فأنت مخلوق لها

لا وقت للانحناء الآن فاننفض

فاننفض والتزم بالنضوج حجارة

فجليات لا يقتله غير داود.. فأنت هو

فلتحمل الشعلة ولتحمل البوق

ولا تزحف بأرجلك كثيراً..

بل هرول إلى ميدان المعركة

واملاً صدرك بالسجود للميتة المباركة

صامدون.. صامدون يا رفاق

فلا تراجع الآن.. فالعار كل العار للموت الجبان

فأنت في أمس شجاع

وأنا أعلم أنك أمس واليوم والى الأبد

فلا هروب الآن

فالجوعى ينادوكم والأسرى.. والزهرة والبستان

فلا مفر.. لامفر أن نموت

لا مفر من الاستشهاد

ولكن لنترك لهم حضوراً في التابوت

مسيحاً في كل أغنية.. وفي كل بيت.. وفي كل سكوت

صامدون صامدون مهما حاولوا الإغراء..

بالترهيب او بالترغيب

كل الاغراء فاشل.. فنحن لا نخون احلامنا
فأجعل العفة تنتصب.. اجعل العفة تنتصب
فلا شيء يغيرنا سوى أرجل الأطفال وعيون الفقراء
وجوع البشر للبشرى.. وجوع الأرض للمطر
مزق ثوب الأرض البور..
واقذف عليها بكل ما فيك من قوة فتلد الحصاد..
فانتصب فالحصاد كثير
فجول واصنع خيراً.. وحرر كل من تسلط عليهم شرير
تقدم.. تقدم بأنهار الماء الحي.. فهذا عصر التبشير
فلا تخف.. فلا تخف فهذا الوقت وقت خطير

واملاً قلبك بالحب.. فتورة الحب تجعل الخوف يطير

وكل إله غير إلهك إله شرير
أفيوناً للشعوب وسذاجة تفكير
أما مسيحك فطريق الإصلاح وشمس التنوير.. فلا تخف
كل الآبار التي هي ضدك مشقة..
قبور مبيضة.. مزخرفة.. وريقات كتب عليها الموت

صامدون صامدون سنبشر

بداخل الزنازين سنبشر
وإذا كان حبساً انفرادياً.. سنبشر خلايانا
سنبشر ذرات الهواء.. سنعمد القضبان
سنخلص الجدران.. سنضيء المقبرة بنورك
لن نصمت.. وان صمتنا فالصمت لن يصمت لكنه سيبشر
الأرض.. والسماء.. والجبال.. والتلال.. والعصافير
والأشجار.. والحب.. والأمطار... والزنازين ستبشر

احصدونا.. احصدونا..
فدماؤنا قد تعلمت المخاض
وستلد رجالاً يقفوا في الثغر.. احصدوهم أيضاً
فنحن نريد أن نكثر وهذه طريقة الإكثار
احصدونا.. احصدونا فلا خوف بعد الآن ولا انكسار
وحاصرونا بكل قوتكم..
سنخرج من بين أيديكم.. ومن خلفكم
فإلهنا إله جبار
من يقوى علينا..
فإلهنا ملك الملوك ورب الأرباب.. فهو الوحيد البار
صامدون.. صامدون.. سنبشر

هكذا عرفت الله

مقدمة الاختبار:

قد لا أملك ما يلائم بداية شهادتي هذه إلا أن أشكر الله من أعماق قلبي من أجل هذا التحول الغريب والإيجابي في حياتي، وكذلك حياة كل من يطلبه بإخلاص، إذ قد قادني بإرادته وقوته الساحرة منتشلاً إياي من أفواه الأسود وحظيرة الهالكين، والغريب في ذلك أن هذا التحول لم يكن بدافع مني أو انعكاس لشيء سمعته، أو كلمة ألقاها أحد من الخدام أو المبشرين إلي؛ بل على النقيض من ذلك كله؛ إذ في الوقت الذي كنت أسعى جاهداً لإحباط خطته لخلاص العالم، والهجوم الشرس على كلمته،

وكذلك من يؤمنون بها، كان هو قد أعد العدة كاملة وبإحكام لاصطيادي بشباك لا يمكنني الهروب منها؛ وهذا هو شأن الإله الحي الذي يبحث عن الضال إن كان صادقاً في توجهه حتى ولو كان معاكساً له، فهو يبسط يديه لكل تائب، وينشر نوره لكل تائه في ظلمات العالم، ويقرع بهدوء على كل بيت فقير وخرب ليدخله بالغنى الروحي ويغمره بالطهارة والقداسة فهو يعطي بسخاء ولا يعير، ولا يعطينا كأفعالنا؛ لكن حسب وعوده وبمقدار رحمته وبميزان عظمته ولا أخفي سراً إنني قد ترددت كثيراً في كل مرة كنت أحاول فيها كتابة هذه الكلمات؛ ذلك لأنني قد خشيت أن أكون مبالغاً في ما أقول، أو أن ينظر إليّ كشخص فوق العادة يبحث عن مجد له لا يستحقه في حين المجد كله لله، وجانب آخر كان يحول بيني وبين كتابة هذه السطور ألا وهو الكبرياء والغرور الذي كان ما يزال هناك منه بقية باقية لم أكن قد تخلصت منها؛ إذ اعتبرت الإفصاح عن عمل الله في حياتي إهانة قد توجه إلى شخصي الذي كان شديد القسوة على أتباع ذلك الإله الحي الذي تعامل معي وفتح لي عياني لأرى النور الذي لم أكن أعرفه من قبل، وكما سنقرأ في الصفحات التالية؛ لم أجد بد من أن أعلن استسلامي في تلك المعركة غير المتكافئة بين شيطان يسكن بداخلي وإله قدوس يعرض عليّ خلاصه ويفتح لي ذراعيه ليتكئني على صدره الدافئ والحنون؛ حتى استطعت أن أردد مع أيوب "بسمع الأذن سمعت عنك أما الآن فقد رأتك عيني" واطلب كما طلب داود "قلباً نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" ذلك هو الرب يسوع المسيح كلمة الله الأزلية وروحه الذي لا ينفصل عنه، إنه هو الطريق والحق والحياة، هو من يؤمن به فلا يموت وإن مات فسيحيا، هو الذي لا يظماً من يتقبله ولا يجوع من يأتي إليه هو الأول والآخر، هو الرب يسوع المسيح.

حياتي قبل الإيمان:

كان لا بد لي أن أتكلم ولو بإيجاز عن حياتي قبل الإيمان؛ لأنه من خلالها ستوضح مدى محبة الله لنا نحن البشر، وتظهر أنه في الوقت الذي نسعى نحن جاهدين

لمقاومة عمل الله؛ يسعى هو في الاتجاه المضاد ليجتذبنا إليه كراعٍ يبحث عن قطع له قد ضاع في البرية القفرء الجرداء.

فقد نشأت في أسرة متدينة أصولية إلى أبعد الحدود، مما دفعني إلى أن أسلك نفس المسلك الديني الأصولي، إما بإرادتي أو بحكم النشأة الأسرية، وبدأت مشواري مع الكتاب الصغير الذي كان يقع على أطراف قريتنا الصغيرة الواقعة في إحدى محافظات الوجه القبلي على مسافة 200 كم جنوب القاهرة، كان اهتمامي في البداية مجرد حفظ ما كان مقرراً علينا من السور القرآنية في مادة التربية الدينية بالمدرسة، ثم تدرج ذلك إلى اهتمام شخصي نابع من حبي لكلمات الله، وفي تلك الأيام كان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ينظم مسابقة سنوية بصفة دورية بين طلاب جميع مدارس الجمهورية في حفظ جزء أو جزأين من القرآن، طلب مني والدتي أن أشارك فيها، وأول مرة شاركت حصلت على المركز الأول وكانت الجائزة 10 جنيهات فرح بها والدي كثيراً وكان يشجعي على المشاركة باستمرار ليس إلا للفوز بال عشرة جنيهات، استمر ذلك حتى استطعت حفظ أكثر من خمسة عشرة جزءاً من القرآن قبل أن أنهي المرحلة الإعدادية، وأكملت ما تبقى منه في المرحلة الثانوية، كنت في هذه الفترة أقيم مع الأسرة في منزل العائلة الذي كان يضم بقية أعمامي وأولادهم، وكان واحد من أبناء أعمامي شديد التدين، إذ كان يدرس في إحدى كليات جامعة الأزهر، وكان يشجعي على قراءة الكتب وفي بعض الأحيان كان يشتريها هو لي على نفقته الخاصة، لكن في أثناء هذا الوقت انتقلت أسرتنا للإقامة في بيت منفرد عن بيت العائلة هذا، وسافر ابن عمي إلى إحدى البلاد العربية ليعمل إمام وخطيب لمسجد هناك، واستمرت إقامته هناك مدة عامين، وبعد عودته في إحدى المرات أفهمني أننا لسنا على الإسلام الصحيح الذي يدخل من يدين به الجنة؛ لأننا لا نعرف إلا القليل، وأنه قد تقابل هناك بقيادات مسلمة واخوة فارين من ظلم الحكم الطاغية هنا، وطلب مني التعمق في دراسة بعض الكتب للإمام ابن تيمية والشيخ سيد قطب وابن حزم الظاهري، ورغم صعوبة أفكار بعض هذه الكتب إلا أنني أعجبت بها كثيراً؛ إذ كانت هذه الكتب تضع منهجاً شاقاً يصعب على المرء منا أن يؤديه كما هو، فمثلاً وجدت هناك حديث يقول: من أكل مع مشرك أو ساكنه فهو

مثله"، من هنا بدأت أدخل إلى مرحلة جديدة في حياتي الدينية، إذ بدأت أتفحص الناس من منهم الكافر ومن منهم المسلم، وبدأت أيضاً أجمع النصوص التي تسهل علي تمييز المسلم من غير المسلم حتى أرسم وأحدد علاقتي به حسب نوعية كل منهم، حتى وجدت نفسي أما موقف صعب جداً إذ أن والدي ووالدتي بناءً على ما وصلت إليه يعدا من الكافرين، فوالدي كان يدخن، ولا يطلق لحيته، ووالدتي لم تكن تصلي وكانت تسب الناس كثيراً، كذلك اخوتي كانوا كفاراً أيضاً فمنهم من يجلس يشاهد التلفزيون ومنهم من لا يصلي، ومنهم من يحلق لحيته ومنهم من يدخن السيارة، لدرجة أنني قد منعت أخواتي عن تكملة الدراسة في مراحل مختلفة، وطلبت من والدي أن يطلق والدتي لأنها لم تكن على نفس تجاوبه معي مما أثار والدي علي، وصلت في نهاية الأمر إلى أن والدي ووالدتي وإخواني مشركون، وسألت هل يجب علي مقاطعتهم وعدم الأكل أو النوم معهم؟ فأجابني ابن عمي: نعم، فقلت إذن وأين سأذهب؟ قال: تعال عندي. هل تثق في عمك وامراته من حيث الإيمان؟ قلت كلا فهما مؤمنين حقاً، قال إذن فاذهب وأت بمتعلقاتك لتعيش معي بعيداً عن حياة الكفر والشرك التي في بيتك، حملت أمتعتي ورحلت وسط دموع والدي واخوتي ولم أشفق عليهم بل كنت أقول إنه لا مقام لي بينكم اليوم إذ أنكم كافرون، وكنت في غاية السعادة وأنا أراني أهجر بيتي في سبيل الله.

استقر ابن عمي في القاهرة واستأجر شقة بالقرب من جامعة الأزهر حيث كان في السنة النهائية مما اضطرني للعودة ثانية لبيت أبي، أجز أذيال الخزي والانكسار، وسألت ابن عمي ألا يعد رجوعي هذا معصية؟ قال: لا "فالضرورات تبيح المحظورات" وقرأ علي آية سورة البقرة "فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه" ففرحت كثيراً بذلك، كنت آنذاك في الثانوية العامة وقررت الاجتهاد حتى لا يقال بأن التدين يعيق الدراسة، ونجحت وحصلت على نسبة مئوية عالية أهلتني لدخول كلية الطب بجامعة القاهرة، وبعد ذلك بدأت انفصل فكرياً وبالتدريج عن ابن عمي إذ قرأت كثيراً من الكتب كان هو يرفضها قائلاً: إنها تحمل أفكار التكفير والهجرة أو خوارج القرن العشرين، كان كلامه هذا لي دافعاً قوياً لأعرف ما ذا يقول هؤلاء الناس الذي نسمع عنهم ولم نقابل أحد منهم؟

وجدت داخل الكلية كثير من التيارات السياسية داخل جماعات صغيرة وقانونية مما دفعني أن التحق بالجماعة الدينية بكليتي لكي لا نترك الساحة لهم، كان مقرر الجماعة أحد أعضاء هيئة التدريس وكنت أميناً عاماً لها، وكان معنا رجلاً آخر مسؤولاً للاتصالات بالجماعة، لا أخفي أنني وجدت متاعب كثيرة داخل الجماعة لأنهم كانوا يعيشون حياة إسلامية تقليدية بعيدة كل البعد عن المفهوم الصحيح للإسلام من حيث تعاملهم مع غير المسلمين (لا أعني المسيحيين بل المسلمون بالاسم فقط)

بدأت طموحاتي الدينية تنمو باطراد وكنت أسبق الزمن للوصول إلى حالة لا تقل عن حالة من كنت اسمع عن صولا تهتم ضد الحكومة والنظام، فبدأت بتكوين نواة لجماعة صغيرة أقوم بتلقينها الإسلام كما فهمته، وكنت ألمس فيهم الطاعة والخضوع، كنا نصلي معاً في زاوية بعيداً عن المساجد لأنها كما علمنا ما هي إلا مساجد ضرار بنيت على غرار ما بناه اليهود لإعاقة دعوة الرسول. شعرت بعد ذلك بضرورة ترتيب علاقتي بكل الناس كل حسب موقفه وفهمه للإسلام؛ فكل من لا يقبل ما نقول فهو كافر ويعامل معاملة الكفار "لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء من دون الله" لم جد في ذلك صعوبة لأننا كنا مدفوعين برغبة وحماس شديد لأن نعيش كما كان رسول الله يعيش وكان تتراءى لنا سورة أبو عبيدة بن الجراح الذي قال عنه محمد أنه أمين هذه الأمة عندما قتل والده الذي رفض الإسلام، كذلك سورة مصعب ابن عمير الذي لم يرضخ لتوسلات والدته وتركها تموت لرفضها للإسلام، وكذلك أبو بكر الذي قال لوالده: لو أنني أدركتك لقتلتك، كل هذه الصور كانت تنمي داخلنا القسوة على الأهل والأصدقاء إن هم رفضوا إسلامنا، ولم يكن ذلك لمجرد الكراهية بل على العكس كنت أتألم وأنا أرفع صوتي في والدتي ووالدتي وأسب أخي وأخوتي وأهددهم بالقتل، لكن الدافع كان الرغبة الصادقة لدي لأن أطيع الله ورسوله وأصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكنت أضع نصب عيني حديث الرسول الذي يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه".

كان هناك فرقة أو طائفة من الناس نحن بحاجة إلى تحديد علاقتنا بهم وتعاملاتنا معهم حسب نصوص القرآن والسنة: وهم أهل الكتاب، والحقيقة كان هم النصارى لأن مصر ينذر تواجد اليهود بها وإن وجدوا فلا يقيمون علاقات مع أحد. من خلال البحث عن سلوكيات الرسول تجاه النصارى، وجدنا السورة قاتمة جداً، لكنها كانت مريحة لنا إذ كنا نغار منهم في بساطتهم وحسن معاملاتهم، وسرعة إقامتهم لصداقة مع مسلمين اسميين، كان لديهم برود غريب تجاه ما كنا نوجهه إليهم من مضايقات والتي فسرناها على أنها مجرد محاولة قذرة منهم للخروج من عزلتهم وهم الأقلية في مجتمع أغليبيته من المسلمين، ولم يكن أمامهم سوى هذا الخبث والدهاء في حسن معاملة المسلمون لأنهم إن أبدوا غير ذلك فلن يكون لهم مقام وسطنا، وهذا هو بعينه ما قاله القرآن عنهم من أن الله سيضرب عليهم الذلة والمسكنة، بدأت كراهيتنا للنصارى في سورة مضايقات في الشوارع والطرق، لكنهم كانوا يقبلون ذلك بوداعة تثير اشمئزنا مما يدفعنا لزيادة الكيل من المضايقات، فبدأنا نفكر في كيفية إرهابهم فعلمنا أن الله قد أحل دمائهم وأموالهم وقال عنها أنها "قِيء" أي تأخذ بدون حرب مثل ما فعل الرسول بيهود بني قريظة، إذ حاصرهم وقتل شبابهم وسبى نساءهم واستحل نخيلهم وأجلاهم عن المدينة، رغم أننا لم نكن قادرين على عمل ما عمل محمد لكن كنا نسطوا على محلاتهم ونهبها، ووصلت درجة عداوتنا للنصارى إلى درجة التعدي على كنائسهم ودور العبادة في أماكن متفرقة من القرية التي كنت أقطن فيها، كان أشدها هو التخطيط وتنفيذ عملية تدمير إحدى الكنائس، أثار هذا التصرف شعور الحكومة حيث تظاهر الأقباط ضد هذا العمل وكان يبدو أن الحكومة مسرورة بهذا السلوك؛ إذ كان يتم معاملتنا داخل الحبس على أفضل ما يكون، وعندما أنهينا فترة السجن هذه خرجنا واستقبلنا أهالي القرية استقبال الأبطال مما دفعنا للتمادي في ذلك لكن بطرق أكثر دقة وحكمة لا تمكن الحكومة من القبض علينا. كل ذلك تم في فترة وجيزة وتناقل الطلبة في الكلية هذه الأخبار مما دفع أحد قيادات التكفير والهجرة إلى طلب الجلوس معي ليعبر لي عن فخره بشجاعتني وحبني لله ورسوله، علمت أنه من جماعة شكري أحمد مصطفى ففرحت وتمنيت لو كنت واحداً منهم، كان صديقي هذا حريصاً جداً في حديثه معي وفي إحدى عطلات

الصيف قمنا بتنظيم معسكر للجماعة الإسلامية بالكلية وحصلنا على الدعم المادي لهذا المعسكر من إدارة الكلية كان الهدف من هذا المعسكر هو أن نقضي أنا وعضو التكفير والهجرة أكبر وقت ممكن للمناقشة وتداول الأفكار حول الإسلام، بعد المعسكر طلب مني صديقي أن أؤدي رأبي في الجماعة الإسلامية، وهل أريد الانضمام إليها لو أتحت لي الفرصة؟ وكان يردد على مسامعي الأحاديث التي تتكلم عن ضرورة الانضمام لجماعة تقيم كتاب الله وسنة رسوله مثل قوله: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"، ولا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير" شعرت أنه لا بديل لدي سوى الانضمام للجماعة ما دمت أحب الله ورسوله، وهذه الجماعة هي أفضل ما رأيت من حيث توافق فكرها مع ما كان بداخلي عن الإسلام، تم ترتيب لقاء لي بالقاهرة في منزل أحد الأعضاء بالقاهرة ووضعت يدي بيد الأمير شكري قائلاً "أبايعك على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وأن أوثرك على نفسي إلا أن أرى منك كفراً بواحاً" لم تكن البيعة مجرد كلمات تردد؛ بل كانت كأنك تضع حياتك في يد الأمير وتكون قد بعت نفسك لله وللرسول، الحقيقة كنت سعيداً جداً بهذا اليوم ولم أسعد أكثر من هذا اليوم إلا يوم معموديتي. غرست البيعة هذه في نفسي شيء من الخضوع وعدم الخوف وتنفيذ كل ما يطلب مني بدون التفكير في ما ينتظرني من ألم أو مشاكل لأنني اعتبرت ذلك طاعة لله وللرسول، وكنت مستعداً لأن أفعل أكثر مما يطلب مني، بدأت القسوة تظهر على تعاملتي مع أسرتي وكنت لا أسلم عليهم، وعندما يسألونني كنت أقول لهم إنكم كفاراً إنكم تشبهون الذين قال الله عنهم "هل أدلكم على الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا" طلب والدي مني أن أرشده لما يجعله مسلماً في نظري فقلت له أولاً تطلق لحيتك، لا تجلس للراديو فوافق، فقلت له إن والدتي لا تصلي وتارك الصلاة كافر وعليه فهي كافرة وحياتك معها حرام فثار والدي وحلق لحيته وكاد يضربي بحجر كان أمامه لولا أنني هربت منه، هناك نقطة للأمانة أريد أن أذكرها، وهي إن أول شيء جعلني أتحمس للانضمام لجماعة التكفير أنها كانت شديدة القسوة على النصارى الذين كنت أكرههم وأريد نصوصاً قرآنية تؤيد كراهيتي هذه

بحيث انطلق تحت مظلة قرآنية فلا يحدث لدي شيء من تأنيب الضمير في ما أفعله.

بعد ذلك عينني شكري أميراً لمجموعة في ضواحي القاهرة وكان يعبر لي عن إعجابه بي وبإخلاصي فأطلق علي لقب "أبوعبيدة"، للعلم كان كل فرد في الجماعة يحمل اسماً حركياً ولم نكن نعرف أسماء بعضنا البعض الحقيقية. زادت ثقة شكري بي فقام بإرسالني إلى عدة دول عربية وأجنبية ممن كان يتواجد بها أعضاء للجماعة وقمنا بالتعاون معاً لاجتذاب أعضاء جدد وأخذ البيعة منهم نيابة عن الأمير العام شكري مصطفى، كانت هناك بعض المضايقات من الحكومة؛ مما كان يضطرنا للهجرة لأوقات قصيرة لجبال المنيا والبداري وأسيوط القريبة من إقامتي، لكن في كل مرة كان يتم القبض علينا وترحيلنا للقاهرة ثم الإفراج عنا، هذا كله كون لدينا جميعاً شعور بأن الهجرة الآن أصبحت أمراً لا مفر منه إذ لا مقام لنا بين ظهرائي المشركين عملاً بنص الحديث: أنا بريء من كل من أقام بين ظهرائي المشركين"، وهذا تطلب منا أن نرسل أحد الأعضاء للبحث عن أنسب مكان يمكننا أن نهاجر إليه الهجرة الكبرى التي لا يحق لنا الرجوع منها إلا لإقامة الدين والقضاء على نظام الحكم الأرضي الذي لا يحكم بما أنزل الله، وفي أحد الأيام من عام 1977 جاءنا أمر بضرورة البحث عن شقة مفروشة في أحد الأماكن الشعبية دون أن نسأل لماذا، قمت أنا وأحد الأخوة بالبحث عن هذه الشقة واستأجرناها دون أن ندري سبب ذلك، وفي صباح اليوم الثاني علمنا أنه قد تم اختطاف الشيخ محمد حسين الذهبي على يد رجال من جماعتنا، وبعد لحظات من سماعنا هذا البيان زارنا أحد أفراد الجماعة وحكى لنا ما تم بالضبط، كان الشيخ الذهبي دائم التهجم على أفكار الجماعة، وللحقيقة كان يكتب عنا أمور غير حقيقية مثل أننا نزوج المرأة لأكثر من رجل، وقد وجهت إليه الجماعة تحذيرات متكررة للتوقف عن مهاجمة الجماعة إلا أنه استهان بهذه التهديدات والإنذارات، علمنا من أختينا أن الهدف من هذه العملية هو الضغط على الحكومة للإفراج عن بعض القيادات التي تورطت في عملية الفنية العسكرية مع صالح سرية وكارم الأناضولي، كذلك طلب فدية مادية تمكننا من تغطية نفقات الجماعة المتعددة، فوجئنا في مساء يوم الاختطاف هذا بالقبض على معظم إن لم

يكن كل أعضاء الجماعة في كل مصر، حتى من كان له أدنى علاقة بنا دون أن يكون عضواً، أدخلنا معتقل القلعة وقضينا عامين تحت التعذيب والتحقيق في ما كان يعرف بقضية الانتماء لجماعة مناهضة لنظام الحكم، بعد ذلك أطلق سراحنا فهربنا خارج البلاد، وانتشرنا في عدة دول عربية انتظاراً لأوامر من الأمير الذي عينه شكري بدلاً عنه، كانت هذه بداية تفتت وانهيار الجماعة وأقول بكل صدق وأمانة لو لم تكن عملية الذهبية هذه لكان للجماعة شأن آخر في تسيير الأمور بمصر. كنا كما سبق أن قلت قد أرسلنا من يبحث عن بلد يمكننا أن نعيش فيه فترة استعداد للجهاد الأكبر، وكانت النتيجة مشجعة، وبدأت بعض الأعضاء تهاجر إلى هذه المنطقة تبعاً، جاءني رسالة بمكان الهجرة فتوجهت إليهم في أوائل عام 1980، وبدأنا نرتب كيف سنقيم في هذه المنطقة؟ خاصة وأنا قد علمنا أنها منطقة صحراوية خالية من السكان اللهم بعض البدو الذين يسلكون خلالها للتجارة. انتهينا من كل الترتيبات وبدأنا نرحل على مجموعات متفرقة حيث لم يكن لدينا سوى سيارة واحدة، كان من ضمن أعضاء الجماعة كثيرون من مواطني البلدة التي هاجرنا إليها مما ساعدنا على سهولة التعرف على جغرافية المكان وعادات وتقاليدها هذا المجتمع الجديد، حفرنا آبار للمياه، قمنا بعمل كلمة سر بيننا، وتناوبنا حراسة المعسكر وقمنا بتدريب من لا يعرف إطلاق النار، ووفرنا لكل فرد سلاح شخصي للدفاع عن نفسه وقت الضرورة، سارت الحياة بالنسبة لنا في أول الأيام في فرح وسرور، إذ كنا نتذكر هجرة الرسول ومنتظر اليوم الذي سنعود فيه إلى مصر فاتحين كما فعل الرسول عند خروجه من مكة، وكان كل واحد منا يترك أهله الكفار ويهاجر في سبيل الله لا يفوته أن يردد هذه الأبيات الشعرية التي كانت تبث فينا الحماس والنخوة الإسلامية غير مهتمين بما قد يواجهنا من صعوبات فكل شيء يحدث لنا هو في سبيل الله وإن متنا فلنا الجنة وإلا فالنصر حليفنا

وداعاً يا ديار الاقربين
يعز عليّ ترككم ولكن
فقومكم ودياري تركوا
وداعاً فقد تطول السنون
سأمضي أقصد الحق المبين
كتاب الله رغم القارئ

كنا عندما نردد هذه الأبيات تمتزج فينا مشاعر الزهو والابتهاج بدموع الأسي والحزن على فراق الأهل والأصحاب.

كانت البلدة التي هاجرنا إليها تعاني من القلاقل والاضطرابات وحرب العصابات، وكان أهلها جميعاً مسلحين مما أتاح لنا فرصة حمل السلاح دون مضايقة من أحد، بدأت أخبارنا تتسرب للجهات الأمنية هناك عن طريق البدو الذين كثيراً ما كانوا يتيهون في الصحراء فيلجأون إلينا لإرشادهم، وذات يوم فوجئنا بسيارتين مدرعتين تقتربان من موقعنا رصداهم مسؤول الحراسة من خلال التلسكوب الذي كان بحوزته، وعندما وصلوا على بعد أمتار من المعسكر فوجئوا بمن يستوقفهم طالباً الاستفسار منهم عما يريدون، طلبوا مقابلة أحدنا ليتعرفوا عن سبب إقامتنا في هذه المنطقة، وإلى أي جهة نحن ننتمي، إذ قد تولدت لديهم مخاوف كبيرة من أن نكون موالين للمنشقين هناك، بعد حوار طويل كنت مشاركاً في بعضه اكتشفوا أننا لسنا من مواطنيهم بل نحن غرباء مما زاد من مخاوفهم تجاهنا، وبعد عدة مناقشات كان علينا أن ننسحب من الموقع في يأس وأسى لعدم تمكننا من تنفيذ ما كنا نصبوا إليه، وحيث أننا كنا في بلدة مجاورة لمصر فقد كان الرجوع إلى مصر سهلاً ويسيراً وغير مكلف، لذا فلما لم نجد بد من الاستمرار في خطتنا قرر الجميع العودة للقاهرة، تخلفت أنا وبعض الزملاء عن العودة لظروف خارجة ومكثنا وحدنا فترة طويلة تعرفنا خلالها على بعض الأخوة الذين كانوا قد شاركوا في حرب أفغانستان واقنعناهم بأن تلك الحرب ليست بهدف نصره دين الله وبايعونا وأصبحوا إخوة لنا وقدموا لنا مساعدات كبيرة حتى رجعنا إلى مصر بطريق البر وكان ذلك في مطلع عام 1990.

تم القبض علينا بمنفذ الدخول للقاهرة واصطحبنا لوزارة الداخلية، وبعد فترة من التحقيقات أطلقوا سراحنا، حاولنا نحن ومن بقي على بيعته للجماعة إعادة ترتيب الجماعة وكنا نلتقي مرتين شهرياً وذلك لدراسة الأفكار الأساسية للجماعة وإعادة صياغتها من جديد، انتهينا من ذلك في فبراير 1990، ذات يوم طالعتنا الصحف عن طريق أحد الأخوة الذي كان متخصصاً في قراءة الكتب والمجلات والبحث عن كل شيء يتعلق بنشاط الجماعات الأخرى في العالم إلا أنه فجأة جاءنا ووجهه محمراً قائلاً: هل علمتم بما في الصحف اليوم؟ قلنا لا ماذا حدث؟ قال لقد تم القبض

على مجموعة مبشرين كانوا يقومون بتتصير المسلمين الاسمييين نظير اغراءات مادية وغير ذلك أو توريطهم في علاقات جنسية، وكان ذلك في شهر رمضان مما أثارنا جداً وجعلنا نشعر بالخزي والعار، مما دفعنا لضرورة أن يكون لنا رد فعل إيجابي أمام هؤلاء الذين يأمرون بالمنكر إذ لا بد من تغييره، لكن كيف غيره؟ هل باليد؟ ذاك صعب جداً هل باللسان؟ ذاك هو أضعف الإيمان، لكن كيف ومتى؟

بداية الطريق

عندما قرأنا الخبر الذي نقله لنا أخونا شعرنا بالامتهان والتقصير تجاه الله وقررنا أن نقوم بدور فعال إزاء عملية التبشير هذه وإيقافها بشتى الطرق، وبعد مداوات شديدة وطويلة استبعدنا العمل المسلح لعدة أسباب منها: أن النظام الأمني في مصر قد تطور عما كان في السبعينات، كذلك الكثير من القيادات الناشطة في الجماعة والتي كانت تتولى عملية تهريب كل من يشعر أنه في خطر قد انتهت ولم يتم تعويضها بنفس الكفاءة؛ إذ البعض من هذه القيادات قد حكم عليه بالإعدام والآخر بالسجن المؤبد، ولهذه الأسباب استبعدنا الخيار المسلح وتوجهنا للبحث عن طريقة أخرى للتعامل مع حركة التبشير هذه، وأخيراً اهتدينا إلى المواجهة الفكرية، وتعرية الزيف والتزوير في التوراة والإنجيل، ولاقى هذا الاتجاه ترحيباً وحامساً من كل القيادات التي كانت مجتمعة، وبدأنا البحث عن يقوم بهذا العمل العظيم الذي سوف يعلي كلمة الحق ويذهب كيد الكافرين، لم أكن أتوقع ولو بنسبة ضئيلة جداً أن أكون أنا المرشح لهذا العمل؛ ليس لعدم كفاءتي ولكن لما يعلمه الجميع عني من كراهية شديدة تجاه المسيحيين، وبعد فترة صمت مريبة مرت خلالها الدقائق كساعات من ليل الشتاء الطويل انطلق صوت الأمير معلناً الشخصية التي اختارها للقيام بهذا العمل، وعندما سمعت أنه أنا كدت أفقد وعيي، وانتابني شعور بالغضب والتمرد؛ إذ كيف يطلبون مني مثل هذا الأمر الذي بالطبع سيتطلب قراءة كتب النصارى واليهود؟ لكن قضى على غيظي وأخمد تمردى صوت خافت من الأمير قائلاً: هذا أمر وما عليك إلا أن تنفذ إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وذكر الآية التي تقول: ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم "36 الأحزاب". حاولت إقناع الأمير بتكليف أحد غيري للقيام بذلك إلا أنه رفض

وقال: إنني أشعر بأنك أفضل من يقوم بالعمل هذا، ولو أنك أتممته جيداً ستكون قد أنجزت مهمتين في وقت واحد الأولى: أنك تكون قد قدمت لنا ولكل مسلم بل ولكل العالم حقيقة كانت وما تزال غامضة عن أذهانهم، والثانية أنك سوف تجني ثمار هذا العمل الرائع لأنه سوف يتم ترجمته وبيعه في كل أنحاء العالم لأهميته، وبذا تكسب مبالغ كبيرة بالحلال الطاهر، دفعني حديثه هذا إلى استعجال نوعية وموضوع البحث هذا، قال الأمير: إن البحث ينقسم إلى قسمين الأول: إثبات أن نبوة محمد رسول الله ثابتة من التوراة والإنجيل تصديقاً لقوله: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل " 157 الأعراف، القسم الثاني إثبات أن التوراة والإنجيل المتداولين اليوم ليست هي تلك التي أنزلها الله وإنما تم تحريفها وتزويرها من خلال البحث في الاختلافات والتناقضات الموجودة فيها.

قبلت هذه المهمة على مضض وقلت للأمير إن هذا يتطلب مني أن أشتري توراة وإنجيل وأقرأهما؟ قال: نعم ولا بد أن تفعل ذلك، فذهبنا في صبيحة اليوم التالي إلى القاهرة، وقطعنا شارع الجمهورية نبحت عن مكتبة تبيع هذه الكتب؛ وجدنا المكتبة؛ لكن كان من الصعب أن ندخل بملابسنا التقليدية هذه المكتبة؛ لأنها مثيرة جداً وقد يطلبوا الشرطة اعتقاداً منهم أننا جننا للتخريب. وجدنا رجلاً يسر بالشارع فسألناه عن اسمه وطلبنا منه أن يشتري الكتاب فوافق، سلمني الأمير الكتاب وانصرفنا متوجهين إلى منزلي جنوب القاهرة، كنت خلال السفر الذي استغرق أكثر من ساعتين ونصف أحاول التخلص من الكتاب بأي وسيلة، فتارة أتركه خلفي، وتارة أتعمد نسيانه، وفي كل مرة كان يحضره لي وينبهني إليه، أخيراً وصلنا إلى منزلي، وبعد فترة غادر الأمير منزلي إلى مدينته، من هنا بدأت رحلة المتاعب مع التوراة والإنجيل.

كان أول يوم أخذت فيه الإنجيل هذا صعب جداً علي، فقد كان لدي انطباع أنه ليس من عند الله وأنه سوف يجلب لي الشياطين بالبيت ولن أقدر أن أصلي، فوضعتها خارج غرفة نومي خوفاً من إزعاج الشياطين، وطاردني هذا الهاجس أياماً عديدة؛ حتى أنه كلما سمعت صوتاً بالمنزل اعتقدت أن الله يعاقبني على اقتناء هذا الكتاب؛ فكنت لا أدخله غرفتي أوقات الصلاة حتى تستطيع الملائكة أن تدخل منزلي، استمر هذا الخوف والقلق فترة من الوقت أدركت بعدها أنني لم اقتن هذا الكتاب بإرادتي بل

أنني أنفذ إرادة الله من خلال طاعة الأمير الذي أوصى النبي بطاعته في حديثه: "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني" أخيراً أدركت أنني إنما أنفذ أمر الأمير الموصي بطاعته من قبل الله وعليه فلا ضير من أن أضع الكتاب في غرفتي والله سيقويني.

كانت كل الوسائل ميسرة لي من قبل الجماعة، أتقاضى 500 جنيه شهرياً كمصاريف نظير تفرغي لهذا العمل، كان في كل مرة أحاول تجاهل هذا الأمر يتراءى لي الحديث الذي يقول "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فأسارع قائلاً: لا يارب لن أعصيك أبداً واستغفر الله ثلاث مرات ثم أقوم للصلاة. ولم يكن يشغلني أي شيء عن إتمام هذا العمل، ولدي الكثير من المراجع التي تساعدني على إخراجه في أفضل ما يمكن، ولدي من الخبرة في أمور النصرارى الكثير.

قررت بيني وبين نفسي أن أبدأ رحلة المتاعب هذه، لكن ما أقلقني هو أنني لم أكن أدري من أين أو أين أبدأ، ولم يكن لدي طريق واضح المعالم للتعامل مع شقي البحث هاتين، مثلاً بخصوص إثبات نبوة محمد، كنت قد توقعت أنني سأجد نفس الاسم "محمد" في التوراة والإنجيل وفي أضعف الأحوال قد أجد أحمد أو محمود، الحقيقة لم أكن أعلم كيف أبدأ ولا من أين أبدأ لم يكن الطريق بالنسبة لي واضح المعالم من حيث كيفية تناول البحث، أي عن أي اسم في التوراة سأبحث؟ هل عن محمد؟ أم محمود؟ أم أحمد؟ أم..؟ أم . . . أخيراً التبس علي الأمر فقررت الانتقال للجانب الآخر من البحث، وهو البحث عن التناقضات والاختلافات التي تثبت أن التوراة والإنجيل ليستا من عند الله، وعلى نفس المنوال فشلت في تحديد قالب معين أو معيار ثابت على أساسه أقيس كل ما هو في التوراة والإنجيل فإن توافق؛ صحت التوراة والإنجيل، وإن اختلفا أكون قد وصلت إلى ما أريده، ذلك دفعني للشك في قدرتي على إتمام هذا البحث مما أثار حفيظتي وأشعل حماسي فقررت التركيز الشديد للوصول إلى الهدف لأنني لم أعتاد الفشل في كل مهمة كنت أكلف بها طوال حياتي.

كنا نلتقي أنا والأمير مرة في كل شهر نتشاور ونتحاور حول موضوع البحث وفي كل مرة كنت أطلب منه العدول عن قراره وإسناد هذا العمل لأحد غيري وأنا مستعد للتعاون معه، لكن كان لديه إصرار غريب على أن أقوم أنا بعمل هذا البحث، صليت ركعتين استخارة لله، وتملكتني جرأة غير عادية وقررت البدء في قراءة الكتاب لكن بدون نظام أو تحديد أو أي سند يعينني على الوصول للهدف، بدأت بسفر التكوين ولم أكن أدري ما أبحث عنه، وجدت أسماء غريبة أقرأها لأول مرة فضقت منها وألقيت بالكتاب بعيداً في أحد أركان غرفتي بطريقة عصبية قائلاً: إن هؤلاء اليهود والنصارى أغبياء كيف يقولون عن كتاب يتكلم بهذه الطريق وهذه الأسماء أنه من عند الله، إنهم مجانين، وتوقفت عن القراءة، وبعد يومين عاودت القراءة ولكن قررت عدم قراءة سفر التكوين لما فيه من أسماء وألفاظ صعبة الفهم، واسترسلت في القراءة، أعجبت جداً بما هو مدون في سفري العدد والخروج وأيضاً التثنية، حيث وجدت الكثير من الأمور التي تتعلق بموسى وفرعون وبنو إسرائيل مذكورة بالتفصيل الذي يشبع رغبتني، أنهيت العهد القديم (التوراة) قراءة في شهرين لكن بدون تركيز، أعدت قراءتها ثانية وكنت أبحث عما ينتمي لمحمد أو أحمد أو محمود بصلة ولم أجد شيئاً، تطرقت إلى العهد الجديد (الإنجيل) وقرأته كاملاً، لكن لم يقودني لشيء فضقت ذرعاً بهذا البحث وكانت تتتابني شبه عصبية نحو الأمير الذي أمرني بذلك، وفي آخر زيارة له لي أخبرته أنني لم أجد أي خيط يمكن أن يساعدي على إتمام البحث، فقد قرأت التوراة والإنجيل ولم أجد شيئاً، أخبرني الأمير بأن هناك كتاب كنا ندرسه في الخارج سوف يساعدي كثيراً في بحثي وهو "إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي"، بحثت عن هذا الكتاب في مكتبتي فوجدته، وللحقيقة كان هذا الكتاب ذو قيمة عظيمة لنا عندما كنا ندخل في نقاشات مع المسيحيين لإقناعهم بالإسلام، إذ كان يحتوي على نصوص خاطئة من التوراة والإنجيل كنا بعرضها على المسيحيين يقبلون الإسلام، وتكرر هذا مع ثلاثة أشخاص، بدأت أنظم طريقة البحث مستعيناً بعدة كتب بمعاونة الأمير مثل الملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم وبعض كتب التاريخ والسيرة، وكلها كانت تهاجم المسيحية، أخذت كل النصوص التي ذكرها ابن حزم وقال أنها تناقض بعضها

البعض، وبحثت عنها في الكتاب الأصلي فكنت كثيراً ما أجد النصوص إما مذكورة لكن بنصوص مختلفة أو منسوبة لأشخاص مختلفين، ولا أخفي سرّاً أنني وجدت كثيراً من النصوص التي بها اختلافات لكن لو أخذنا هذه النصوص كحجة على عدم صحة التوراة فعلياً أن نقبل مثيلاتها في القرآن ويكون القرآن أيضاً من عند غير الله (قمت فيما بعد بالرد عما كنت أعتقده تناقض واختلاف في بحث تحت عنوان الرد على ابن حزم)، كنت أبحث بإخلاص وبمحببة غامرة لله وللرسول، لم أكن مدفوعاً بفكر عنصري بل كان الدافع هو الانتصار لله ولدينه الحنيف، وقد لفت انتباه المجموعة الصغيرة التي أنا أميرها اهتمامي بالكتاب المقدس وكانوا دائمي الأسئلة عن سبب ذلك كنت كثيراً ما ألجأ للكذب عليهم لأن ذلك ضرورة فكنت أبرر ذلك بأننا نتقابل مع شباب مسيحيين ندعوهم للإسلام مما يحتم علينا ضرورة معرفة ما يقولون، بعد أن تعثرت محاولاتي للبحث عن مدخل لهدم التوراة من خلال إيجاد الاختلافات والتناقضات؛ قررت أن أحاول في الشق الثاني من البحث، وهو إثبات نبوة محمد من خلال التوراة والإنجيل لتحقيق مصداقية آية سورة الأعراف، فتشت كثيراً في كتاب رحمة الله الهندي ووجدت ما كنت اصبوا إليه وانتفضت فرحاً بما وجدت، وشعرت أنني أخيراً قد وجدت ضالتي، صليت ركعتين شكر لله على أن هداني إلى هذه النصوص، بدأت في تدوينها بالترتيب كما يلي.

- تك 17 : 20

- تك 49 : 10

- تث 18 : 18-20

- تث 32 : 21

- تث 33 : 1-3

- أشعيا 42 : 9

- أشعيا 54 : 1-3

- أشعيا 65 : 1-2

- مزمور 45: 1-3

- مزمور 149 : 3

- دانيال 2 : 31-32

- مت 3 : 2

- مت 13 : 31

- مت 20 : 1

- مت 21 : 33

- يو 14 : 15

- رؤيا 2 : 27

لم تكن تلك هي كل النصوص التي ذكرها رحمة الله الهندي وزعم أنها إثبات لنبوة محمد، بل كان هناك نصوص أخرى قمت باستبعادها لضعف دلالتها، كان تعاملي مع هذه النصوص غاية في التدقيق والموضوعية لأن هذا كان شأننا كجماعة مؤمنة فريدة على ظهر الأرض، فلم نكن نقبل لأي نص من أي فرد بدون دليل ودليل صادق موثوق فيه، لا أخفي أن هذه النصوص من حيث الظاهر كانت مغرية لأي مسلم لأن يقبلها؛ لكن بالتدقيق وهذا حال المسلمون الأصوليون قد يفاجأ بعدم صحة الاستنباط المستنتج من الدليل؛ لذا قمت بتجميع كل الكتب التي رأيت أنها قد تساعدني في بحثي هذا، وبدأت أرسم مستقبل حياتي بعد نجاحي في هذا البحث، وكم سأكون قد قدمت خدمة لله وللرسول إضافة إلى الربح المادي الذي ينتظرني والذي بدأت معالمه عندما ذهبت أنا والأمير إلى مكتبة أنصار السنة وعرضنا عليهم فكرة الكتاب التي نالت إعجابهم بل إنهم قد طلبوا منا فصل واحد فقط من الكتاب وهم سيشترون حقوق طبعه، كل تلك الأحلام كانت تراودني لكن كان يطغى عليها انتصاري لدين الله.

أخذت أعيد قراءة الكتاب المقدس وأصبحت علاقتي به على أحسن وجه حتى أنني أدمنت قراءته، وكنت أكتب الدليل تلو الآخر وأحاول أن أثبت بالحجج والبراهين أنه ينطبق على محمد، كانت المفاجئة غير سارة، وربما كان سبب ذلك أنني كنت مبالغاً في تدقيقي ليس لغرض المبالغة فقط بل للجزم بصدق نبوة محمد، فكنت استعين بكتاب ياقوت الحموي (معجم البلدان) عندما تعرضت لاسم مدينة تسمى فاران؛ لأعرف أين تقع وما هو اسمها الحالي؟ وأحياناً معاجم لغوية مثل لسان العرب

ومعاجم عبرية لأعرف ما معنى شيلون، كنت أريد أن أخرج كتاباً لا ترد فيه كلمة واحدة، ولا يمكن لأحد أن يطعن أو يحتج عليه، لكن كانت الرياح قد أتت بما لا تشتهي السفن إذ بدأ الانهيار التدريجي للنصوص واحداً تلو الآخر، انهار أمامي أول دليل بمعنى أنني لم أوفق في إثبات أن نص التكوين ينطبق على محمد من عدة وجوه لا مجال لذكرها هنا؛ إذ قد كتبتها في كتيب منفرد تحت عنوان (الحق المكتوم) وسجلت في هذا الكتيب كل الأدلة وكيف كنت أستدل بها، وكيف اكتشفت أنها لا تدل على شخص محمد، ولذلك لن نتناول التعليق على هذه النصوص هنا. انتهيت من دراسة كل هذه النصوص ولم أجد فيها ما يدل على ما كنت أبحث عنه، امتزجت لدي مشاعر الحزن والأسى بالقلق والاضطراب، لكن لم يتبادر إلى ذهني مجرد التفكير في أن يكون محمداً ليس بنبي، بل كان تعليقي الذي أواسي به نفسي هو أنني قد فشلت في الربط بين الأدلة وشخص الرسول، قررت أن أعيد المحاولة ثانية من خلال دراسة كتب أخرى غير إظهار الحق، كان لدي كتاب اسمه دلائل النبوة، معجم البلدان، وإعلام الموقعين، والموسوعة العربية الميسرة، كنت أحاول بكل جهدي لكي لا أ فشل لأن الفشل يعني بالنسبة لي الدمار الكامل لتاريخ حياة مملوءة بالمشقات والضيقات، فكيف يصبح ذلك سراباً؟ ولم تكن المحاولة الثانية أفضل من الأولى بل على النقيض منه ذلك، قد اكتشفت في المرة الثانية أشياء لم أكن أعرفها في المرة الأولى، ولم تكن الأشياء في صالح البحث بل كانت ضده، كنت بين لحظة وأخرى استرق نظرات أجول بها هنا وهنا متفرساً في الكم الكبير من الكتب والمراجع الإسلامية التي تملأ مكتبتي، وأجدني أحياناً أخاطب نفسي: هل من المعقول أن تكون كل هذه الكتب خادعة لنا، وتقدم لنا شخصية وهمية؟ إن صح ذلك فلا يستحق الله منا أن نعبد، لكن لم أكن أسترسل في ذلك بل على الفور كنت أردد أستغفر الله العظيم وأنهض متوضئاً لأصلي ركعتين أطردهما إبليس.

فجأة وبدون مقدمات وجدت نفسي أهمل التفكير في موضوع البحث وأعود قراءة الكتاب للمرة الثالثة وفي كل مرة كنت أقرأ فيها الكتاب كنت أجد حلاوة غريبة حتى أنني كنت أخشى على نفسي من سحر هذا الكتاب الذي قد يصيبني نتيجة القراءة

المستمرة فيه، لأننا كنا نقول أن النصارى سحرة ويستمدون سحرهم مما يسمونه التوراة والإنجيل؛ إذ كان يشدني إليه بطريقة غريبة لا أستطيع مقاومتها.

كان الأمير منتظماً في زيارته لي، وفي كل مرة كنت أتوقع منه أن يضيق مني لعدم عمل أي شيء، وتوقعت أن يعفني من البحث، لكنه كان في كل مرة أكثر إصراراً من سابقتها على أنني الأفضل لعمل هذا البحث. عاودت القراءة في إنجيل متى وتعثرت من مطالعه في الإصحاح الأول عندما رأيتهم يردون نسب المسيح إلى داود، فقلت ما هؤلاء إلا مجانين حقاً، وكنت أتعزى بذلك وأحتفظ ببعض الأمل في أن أجد ما أريد، سحرني إنجيل متى في إصحاحاته الرابع والخامس والسادس، ورغم أنني قد قرأته مرتين من قبل إلا أنني في هذه المرة وجدت نفسي وكأني أقرأه للمرة الأولى وشعرت كأن يداً تمتد نحو رأسي لتربت على ذهني ولسان حالها يقول: أما أن الأوان لتفهم ما تقرأ ولا تتشغل بالخطأ والصواب، وفي نفس الوقت كنت أشعر وكأني أغيب عن الوعي وأحس بقشعريرة خفيفة لا أدري سببها، وجدت الإنجيل يتكلم عما نفعه مع المسيحيين وكأنه يعيش بيننا، وجدته يتكلم عن الاضطهاد والتعبير والقتل الذي كنا نحسبه طاعة لله، قلت غريب أمر هذا الإنجيل كيف علم بما نقوله وما نقوم به إزاء المسيحيين، قد يكونوا علموا بذلك وقاموا بتدوينه حديثاً، كنا نفسر محبة المسيحيين وتواضعهم على أنها جبن وخوف منا نحن المسلمون لأنهم قليل مستضعفون، وكان لا بد أن ينطبق عليهم قول الله: ضربت عليهم الذلة والمسكنة لكنني وجدت نصوص تحثهم على المحبة والطاعة والخضوع ومحبة الأعداء، كيف يمكن لإنسان أن يكتب سبب مذلته بنفسه؟ وللأمانة كنت كلما قرأت أمر الله للمسيحيين أن يحبوا حتى أعداءهم طافت بذاكرتي معاملتي السيئة لوالدي ووالدتي، كنت أتغن في القسوة عليهم، ولم يكن يهدأ لي بال حتى أرى علامات الألم على وجوههم، وأتمادى في القسوة حتى أرى ثمارها، وذات مرة مرضت ودخلت أحد المستشفيات وأجريت لي عملية جراحية خطيرة وأراد والدي أن يراني ليطمئن علي فرفضت وقلت إنه كافر لا أريد أن أراه، كذلك والدي التي كانت تتعرض لأبشع من ذلك، حتى أنها كانت ترسل لي الطعام عن طريق طرف آخر حتى لا أرفضه، وكانت تقف في الشارع أمام شباك غرفتي بالمستشفى ساعات طويلة تلفحها حرارة

الشمس الحارقة عليها تسترق نظرة أو نظرات لتراني فيها، كنت كلما تذكرت ذلك سألت عيني بالدموع، وألعت ذلك اليوم الذي عرفت فيه الله، وكنت أعزي نفسي بأن أحاول أن أتذكر ما فعله أبو عبيدة ابن الجراح وأبو بكر الصديق بوالديهما، ومصعب بن عمير بوالدته فيهدأ بالي قليلاً، انتهيت من إنجيل متى لكن كلماته لم تنتهي من ذاكرتي واستمرت تطاردني ليل نهار كلما هممت بفعل شيء شير، وقرأت باقي الأناجيل والرسائل ووجدت فلسفة وبلاغة تفوق ما هي للقرآن، وحيث أن هذه سابقة للإسلام ب630 سنة فكيف نقول إن القرآن لا يماثله شيء في البلاغة، وفي إحدى ليالي الشتاء القارس كنت أقرأ أحد السور القرآنية علي أستطيع أن أتخلص مما علق بذهني من كلمات إنجيل متى، كنت أنا وبقية الأخوة نغار أو نحقد على المسيحيين لأنهم كانوا قريبين من الناس ويكسبون محبتهم وودهم بسهولة في الوقت الذي كنا نحن عاجزين عن إقامة مجرد علاقة يتوافر لديها الحد الأدنى من التسامح الذي يمكننا من دعوتهم للإسلام، وكثيراً من الأحيان ما كان يمثل ذلك لنا عقبة شديدة؛ إذ أن طريق دعوتنا لا يعطينا أي قدر من التسامح الذي به نقدر أن نبني نوع من العلاقات التي تقربنا منهم ثم اجتذابهم للإسلام، كانت كل حياتنا عنف وقسوة وإرهاب، ولا تستغربوا فلم يكن سلوكنا هذا من عند أنفسنا بل إننا لو لم نفعل ذلك فلسنا من الله في شيء، إذ أن الله قد حدد لنا في القرآن والسنة كيف نعامل الكفار على اختلاف كفرهم، سواء كانوا أهل كتاب أو مشركين أو متمسلمين، ففي أهل الكتاب قال: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين³ " هذا بخصوص أهل الكتاب أما بخصوص الكفار من نوعيات أخرى كمسلم لا يصلي أو لا يزكي أو لا يطلق لحيته أو يرتكب أي معصية ولا يتوب عنها فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين"⁴ وبخصوص الأهل والأقارب قال: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا

³ المائدة 51

⁴ النساء 114

الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون"⁵ وهناك آية أعم وأشمل تقول: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم..⁶، ولو أضفنا إلى كل تلك الآيات الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عمر أن محمد قال: لا تسلموا على أهل الكتاب ولا تردوا عليهم السلام وإن قابلوكم في طريق فاضطروهم إلى أضيقة"⁷ وهناك أضعاف هذه الآيات التي كانت تحكم علاقتنا بالأهل والأصحاب وغير المسلمين، لم يكن لنا نحن أي دخل أو أي سلطة في تحديد هذه العلاقة، وببساطة لأن الفكر الإسلامي عامة والقرآن خاصة لا يعطي للمسلم مساحة لاستخدام العقل، لكن العكس كل من يستخدم عقله للتأمل في آية أو حديث يعد كافراً إذ عليه أن يقبلها كما فسرها محمد وإن لم يقل محمد فيها قولاً فليست عنها ويعتبرها من المتشابه الذي لا يجوز الاقتراب منه ومن هنا كان الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري عن ابن عباس: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. ترى بعد هذا الكم من النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة هل كان بإمكاننا أن نكون مهادين أو لطفاء أو موادعين لكل من ليس على شاكلتنا؟ بالطبع لا؛ ولو حدث فنحن كما يقول القرآن نكون قد ركننا إلى الذين كفروا" ولا تركنوا للذين كفروا فتمسك النار". نتيجة لذلك كله كنت أتفرس والغيط يملأ قلبي عندما كنت أمر على أي نص في الإنجيل يتحدث عن المحبة والعفو والغفران والتسامح، حتى أنني كثيراً ما كنت أشعر بالخجل بيني وبين نفسي وأنا أقرأ هذا في الإنجيل الذي نتهمه بالتزوير، وأقول إذا كانوا هم قد زوروا واكتسبوا محبة الناس بشهادة المسلم والكافر فلماذا نحن الذين لم نزر شيء نفتقد لهذا؟ بالتأكيد هناك شيء غير مضبوط، كنت أحاول جاهداً أن أطرد ذاك الشبح من الأفكار الذي بدأ يطاردني وهو، ماذا لو لم تستطع أن تصل إلى نتيجة في بحثك؟ لدرجة أنني كلما تطرقت إلى هذا التفكير صرخت بأعلى صوتي قائلاً: استغفر الله العظيم، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

⁵ 23 التوبة

⁶ المجادلة 22

⁷ البخاري كتاب السلام 121

محمد رسول الله، وأسارع للصلاة لأتخلص من هذه الهواجس ولسان حالي يقول:
كيف لا.. لا.. لا. محمد رسول الله حتى ولو لم أجد ما يؤكد ذلك في التوراة
والإنجيل وبمرور الأيام بدأت المشكلة تتفاقم أمامي، إذ بدلاً من أن أفكر فيما يثبت
صدق نبوة محمد في التوراة والإنجيل، وجدت نفسي أمام مشكلة جديدة وهي: كيف
ألغي تأثير هذا الكلام العذب الذي عرفته من التوراة والإنجيل، أو كيف أقدر أن
أثبت أن ما علمته ليس من عند الله بخصوص التوراة والإنجيل، إذ أن كل الأفكار
المدونة فيهما جيدة ويستحيل أن تكون من صنع بشر، كيف يقدر البشر أن ينفذوا
بهذه الطريقة إلى أعماق المستقبل ويتكلموا منذ ألفي عام عن أمور تحدث الآن، لو
سلمنا بأن هذا من صنع البشر لقلنا كل الموازين الإلهية إذ نضع الإنسان معادلاً لله
في الفهم والحكمة، ونحن نعلم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع العليم" وجدت
نفسي فجأة أقرأ في سفر المزامير وهو المعروف لدينا بالزبور، وانتقلت لقراءة سفر
الأمثال حتى أنني حفظت آيات من مزمور 143، 23 وكنت أرددتها في الصلاة،
وكلما سمعني أحد يعجب جداً بها ويطلب مني أن أكتبها له ليدعوا بها، تكررت
محاولاتي في البحث عن أدلة تتعلق بنبوة محمد، وعدم صحة الكتاب المقدس، كلها
باءت بالفشل لكنها لم تتركني وشأني بل قلقت الكثير من الأفكار والشكوك بداخلي،
تظاهرت بنسيان تلك الشكوك لكنها كانت أقوى مني لأنني أحب الله أينما كان، لكن
خلفيتي وحيي لديني كانا يمنعاني من مجرد التفكير في أن يكون دين الإسلام ليس
هو طريق الله الذي رسمه لنا بدأت حياتي تضطرب وأفكاري لا تهدأ والقلق يملأني،
لم أقدر أن أنام كما كنت من قبل، ولأول مرة وقفت دقائق معدودة وأنا أصلي الفجر
وكنت أقرأ سورة الإسراء فإذا بي أتوقف عن القراءة وأشرد بذهني قائلاً: ترى ماذا
سيكون موقفك لو فرضنا أن الإسلام ليس هو الطريق المؤدي إلى الجنة؟ حاولت
الهروب من الإجابة لكن لم أستطع، لم أكمل الصلاة وانخرطت في بكاء شديد حتى
غلبني النعاس فاستلقيت على السجادة حتى أيقظتني والدتي، ذهبت إلى العمل وأنا
شارد الذهن لا أدري إلى أين أسير ولا إلى من أتكلم، وبعد عودتي للمنزل وجدت
نفسي مدفوعاً بقوة للقراءة في الإنجيل فقرأت في إنجيل يوحنا من أول إصحاح حتى
الإصحاح العاشر، وجدت فيه كل ما يمكن أن يقال من بلاغة وفلسفة وتعابير لغوية

غاية في الدقة والتناسق خاصة عندما تحدث عن الخراف والراعي والكرمة والكرام والأغصان المثمرة وغير المثمرة التي يجب أن تقطع وتلقى في النار فصرخت بصوت عال قائلاً: يارب ارحمني أنا عبدك قل لي أين أنت أرجوك وإلى أي الفئتين تنتمي، هل أنت عند النصارى أم اليهود أم المسلمين؟ من فضلك تحنن علي فأنا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت أعترف بفضلك علي، لا أقدر أن أقف أمامك، ولا يليق بك أن تقف ندأً أمام نفخة نفختها من روحك، أنت الله الذي يقدر وأنا العبد الذي لا يقدر إلا إن سمحت له، أنت الله الرحمن الرحيم وأنا عبدك بلا حول ولا قوة ناصيتي بيدك: كل أموري لديك، لقد أحببتك من الصغر، بذلت نفسي طمعاً في جنتك وحباً فيك، لم أبالي بسجنٍ ولا بعذابٍ ولا بكل المسكونة إن وقفت أمام طريقي إليك، لماذا تعاملني هكذا، كنت أسير على درب محبتك التي أعلمنا إياها نبيك وها أنا أجد نفسي عاجزاً عن أن أستمر على الطريق، كلاهما يقول أنك إلهه لكن لا أدري أيهم على صواب وأيهم على خطأ، يا رب هل أقسم لك إنني أحبك؟ كلا فأنت تعلم، كم تحملت من الصعاب في مسيرتي نحوك، تركت دراستي، وأهلي، وأصدقائي، تغربت كثيراً وسجنت كثيراً، وعُذبت كثيراً لأجلك فلماذا لا تتجاوب معي؟ إن كنت أنت إله المسلمين فاخلع من فكري كل شيء عدا الإسلام وإن كنت أنت إله النصارى فأعطني بصيص من نور أقتدي به؟ كنت لا أنام من الليل إلا سويغات قليلة وكل تفكيري متجه نحو ماذا لو وجدت أن الإسلام ليس طريق الله؟ بل أن طريق الله هو من خلال التوراة والإنجيل؟ هل ستسلك مثل ما يسلك النصارى؟ كنت عندما تطوف بفكري هذه الجملة أشعر بقشعريرة شديدة وكأنني ذكرت شيئاً ألأم عليه من الله والناس، وذات يوم تخلى عني الخوف والشكوك فوجدت نفسي أقول: ماذا تريد؟ -كفالك مهاترات أنت الآن لست كما كنت من قبل، أمامك طريقان كل منهم يبدو مستقيماً فلا تضيع الوقت وابحث جاهداً عن طريق الله وليس من المهم أن يكون عند اليهود أو النصارى أو المسلمين، المهم أن يكون طريق الله، هذا إن كنت حقاً تبحث عن الله هذا قدرك ولا بد أن تسلم بقدرك، ثق أنه بقدر إخلاصك سيكون تجاوب الله معك، إنسي أنك مسلم وابحث من جديد، ماذا يمنعك؟ قلت لا شيء يا رب يمنعني؛ لكن قد خطواتي أنت واعطني قوة لأن هذه تجربة صعبة وإن

لم تعينني عليها فسوق تتخبطني الشياطين وأمكث في الأرض حيران بلا سند، أرجوك يا رب ساعدني وأعدك يا رب أن اتبعك أينما كنت حتى لو كنت عند النصارى الذين لا أطيق رؤيتهم، بعد ذلك شعرت بهدوء غريب يسيطر على كل تفكيري وكياني ولأول مرة أجد نفسي أفكر بعقلانية وبلا عصبية، فقررت الآتي: إن النصارى قد كفروا لسببين الأول: أنهم قالوا إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، والثاني أنهم يقولون أنه مات على الصليب وقام مكفراً عن خطايا الناس، ترى ماذا يحدث لو أنني توجهت ببحثي نحو هاتين القضيتين لأتحقق من مدى صحة كل منهما بمفهوم إسلامي، أي أرى ماذا قال علماء ومفسري الإسلام بخصوص هاتين القضيتين؟.

أولاً بدأت أبحث في كتب التاريخ الإسلامي والسيرة والتفسير عن كل ما يتعلق بخصوص المسيح وهل تحققت في المسيح كل صفات الله المذكورة في القرآن؟ كانت مصادر بحثي هي الكتب الصحيحة الخالية من الاوضاع الحالية والإسرائيليات، مثل تفسير ابن كثير، تاريخ الإسلام للذهبي، البداية والنهاية لابن كثير، الملل والنحل للشهرستاني، الفصل في الأهواء والنحل للعلامة ابن حزم المعروف بأبو محمد، الأسفار المقدسة قبل الإسلام، النصرانية بين العقل والنقل، وكانت نتيجة البحث أنني وجدت صفات للمسيح لم يتناولها المسيحيون أنفسهم في كتبهم، ومن هذه:

1- القدرة على الخلق: قال القرآن في سورة الأنعام آية 102 "ذلّم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء"، وفي سورة الحجر "إن ربك هو الخالق العظيم"، وفي سورة الحج "إن الذين تدعون دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له"، وفي النحل أيضاً "والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون"، وفي سورة النمل "أم من يخلق كمن لا يخلق"

هذه بعض من النصوص التي تقصر وتحصر الخلق إلى الله، بل إن الله عندما أراد أن يقارن ذاته بالآلهة الأخرى استخدم خاصية الخلق وجعلها ميزة تجعله فوق كل الآلهة، وكما علمنا فإن المسيح كان يخلق وباعتراف صريح وواضح من القرآن، ففي سورة آل عمران قال المسيح عن نفسه: **إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فتصير طيراً بإذن الله** "وقال أيضاً في سورة المائدة: **وإذ تخلق من الطين كهيئة**

الطير بإذني"، وعندما قرأت ذلك قلت في نفسي: إن الله هو الذي أعطى المسيح هذه القدرة، ولم يكن يمتلكها من عند ذاته، لكن عدت لأقول: حتى ولو أن هذا كان بسماع من الله فيكفي أنه الوحيد الذي أعطاه الله ليكون معادلاً له في خاصية من خصائه اللاهوتية، ولو كانت كرامة لكان محمد أولى بها، بل إنه قال عن محمد: إنك لا تسمع الصم الدعاء "وهذه أبسط من الخلق إن الله قد منع محمد من مجرد أن يعيد السمع للأصم وهو خير خلق الله وخاتم رسله، وتحدى الله الخلق أن يخلقوا مجرد ذبابة وهو ها هنا يعطي المسيح القدرة على خلق الطير، والمسألة لا تقف عند حجم المخلوق بل هي من حيث المبدأ لأن من يخلق القليل يخلق الكثير وهذا لا يمكن أن يكون للناس من دون الله.

2- علم الغيب : - قال الله عن نفسه في القرآن: "قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله" النمل: 65، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو "الأنعام: 59، ففي الآية الأولى أسلوب قصر وحصر أي أن علم الغيب مهما كان محصور ومقصور على الله يستحيل أن يشاركه فيه أحد، والآية الثانية لا نافية للجنس أي جنس المخلوقات التي يمكن أن تدعي علم الغيب إذ أن مفاتيح الغيب عند الله وحده، وقد حكى القرآن عن محمد أنه كان يلوم كل من ينسب إليه علم الغيب فقال: "قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب" الأنعام 50، وقال لمعاذ عندما قال له إن شاء الله وشئت: أجعلتني لله نداً والله لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله؟ لكن بخصوص المسيح نجد كل الحواجز تزال والمحذور بباح والغير مستطاع للبشر مستطاع لديه فيقول القرآن: "وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم" آل عمران 49 والغريب أن المسيح في كل تلك الصفات يتكلم بضمير المخاطب وكان لا بد وأن يكون الله المتكلم لأنه المانع له هذه كما كان يحدث مع محمد فيقول له قل، لكن المسيح تفرد بأن قال عن نفسه؛ وهذا يعني أن ذلك كان بيده ولم يكتسبه من أحد، وهناك في كتاب البداية والنهاية لأبن كثير الجزء الثاني صفحة 86 رواية شعرت بالخجل عندما قرأتها إذ وجدت فيها إقرار لا يقبل الشك أن المسيح كان يمتلك قدرة غير عادية على الإخبار بالغيبيات ولطول هذه الرواية أنصح بقراءتها في الشاهد المذكور.

3- يشفي المرضى: قال القرآن أن الله وحده هو الشافي مرة على لسان إبراهيم ومرة على لسان محمد فيقول: "وإذا مرضت فهو يشفين" والحديث الصحيح: اللهم لا شفاء إلا شفاءك: وعن المسيح يقول عن نفسه: "وأبرئ ألاكمه والأبرص" آل عمران 49:

4- يحيي ويميت: الله وحده هو صاحب سلطان الحياة والموت ولا يستطيع أحد أن يحيي ويميت فقال القرآن: "وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون" الحجر 33، وقال: "إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم" يس 12، وقال "إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير" ق 43 وبخصوص المسيح يحكي القرآن أنه قال: "وأحيي الموتى بإذن الله" آل عمران 49

ويروي ابن كثير في كتاب البداية والنهاية رواية صحيحة تثبت أن المسيح كان له سلطان أن يميت كما كان له سلطان أن يهب الحياة[@]، والرواية باختصار أن المسيح رأى امرأة تبكي على أبنه لها ماتت منذ زمن طويل فسألها ما يبكيك يا امرأة قالت: ماتت ابنتي وليس لي ولد غيرها، فقال أرأيت لو أحبيتها لك أتريدين ذلك؟ قالت نعم يا روح الله، فوقف المسيح على رأس القبر ونادى ثلاث مرات على الصبية ففي الثالثة قامت تنفض عنها التراب وتكلمت مع أمها، و⁸بعد ذلك طلبت من المسيح أن يعيدها للموت فقال لها عودي كما كنت فانغلق القبر عليها وماتت"

5- القدرة على الرزق: قال القرآن "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" الذاريات 57، وهذا أسلوب تأكيد أن الرزق من عند الله وحده، وقد وبخ الله كل من اعتقد أنه يقدر أن يرزق الناس، وقد تحقق ذلك بالنسبة للمسيح فقال ابن كثير إن المسيح كان له كرامة أن يرزق من يشاء وتجلي ذلك عندما أطعم الخمسة آلاف نفس بقليل من الخبز والسّمك[#].

6- ليس كمثل شيء: يقول القرآن عن الله: "ليس كمثل شيء وهو السميع البصير" الشورى 14 وبخصوص المسيح لا جدال أنه ليس كمثل شيء، فقد خلق

@ البداية والنهاية لابن كثير ج 1 ص 84

⁸ ابن كثير في البداية والنهاية ج 2 ص 84

[#] تفسير ابن كثير لسورة آل عمران وكتاب البداية والنهاية ج 1 ص 90

من غير رجل، وهو الوحيد الذي قيل عنه: كلمة الله وروح منه، وهو الوحيد الذي ليس لإبليس سلطان عليه منذ ولادته، وهو الوحيد الذي كان يحيطه حجاب من دون سائر البشر، وهو الوحيد الذي امتلك صفات الله القدرية

7- يقول للشيء كن فيكون: يصف القرآن فيما يعدد من صفات الله قائلاً: "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" النحل 40، وقوله "إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" هذه صفة فريدة وصف الله بها نفسه أن يقول للشيء كن فيكون وهي ليست كالخلق وقد تحقق ذلك للمسيح في حادثة تحويل الماء إلى خمر كما يقول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[§]

8- كان عرشه على الماء: يقول القرآن عن عرش الله: "وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملاً" هود: 7 قال القرطبي والحدثي أن هذه الآية كانت تنطبق على المسيح الذي تدرع بالجسد وأن الله إنما جعل عرشه على الماء ليس على سبيل الدوام ولكن ليختبر إيمان الناس وقد سار المسيح لتلاميذه ليلاً على سطح بحر طبرية ليختبر إيمانهم، وقال لهم في هذه الواقعة: يا قليلي الإيمان

9- له الحكم والأمر: قال القرآن عن الله: "إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين" الأنعام 57 وقوله "فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين" الأعراف 87، وجاء عن المسيح على لسان محمد فيما يرويه البخاري عن ابن عباس: لا تقوم الساعة حتى ينزل ابن مريم حكماً عدلاً فيقضي بالحق ويمحو الظلم".

10- يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار: جاء في سورة الأنعام 103 "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" هذه صفة أخرى من صفات الله التي تحققت للمسيح كما يروي ابن كثير والقرطبي من أن المسيح كان ذات يوم على الجبل فأراد الرومان أن يقبضوا عليه فمرق منهم دون أن يدركوه بينما هو أدركهم وقال بذلك أحمد بن خابط في الفرق بين الفرق[#]

[§] ابن كثير - البداية ج 1 ص 85

[#] الملل والنحل للشهرستاني ص 27

11- هو الرحمن الرحيم: جاء في سورة البقرة الآية 163 "والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" وجاء في سورة مريم آية 93 "إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً"

ذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل والأزرق في دلائل النبوة أن المسيح كان على سورة الرحمن وكان رحيماً متحنناً على شعبه إذ أقام أبنه يائرس من الموت برحمته وترأف كثيراً على المرضى برحمته فخلق عيناً لرجل ولد بلا عين بوضع طين عليها لأن هكذا كانت سنة الله في الخلق منذ الأزل %

12- يضرب الأمثال: جاء في القرآن أن من اختصاصات الله أنه وحده هو القادر أن يكلم الناس بأمثال ففي الآية 35 من سورة النور والآية 25 من سورة إبراهيم "ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون"، "وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون"، قال ابن كثير والقرطبي والزمخشري في الكشاف أن الله يستخدم الأمثال لكي يقرب للناس ما يريد حتى يقيم عليهم الحجة، وقد كان المسيح وسط قومه يفعل ذلك، والكتاب المقدس في عهده الجديد مليء بالأمثال التي لم يتكلم بها أحد من الأنبياء.

13- يرسل رسلاً ويعطيهم سلطان: ويؤيدهم بروحه: فقد جاء في مطلع سورة يس "واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ذكر ابن كثير وجميع المفسرون أن هذه القرية هي إنطاكية وهؤلاء الرسل هم رسل المسيح وذكر أسماءهم، وأنهم كان لديهم سلطان من المسيح، ترى من البشر كان يملك ذلك؟

14- عبادة غيره كفر وشرك: جاء في الآية 30/29 من سورة التوبة "قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله تشابهت أقوالهم يضاهاؤون قول الذين كفروا... اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم قال بن قتيبة أن هذه الآية مشكلة لأن فيها أن عبادة الله والمسيح فرض ولا يعبد من دونهما، لذا فيجب أن يُعرب المسيح كمفعول ثان وليس مضاف حتى لا يوافق أهل الكتاب من تأليه المسيح.

% الملل والنحل للشهرستان

15- **يأتي في ظل من الغمام:** جاء في سورة البقرة 210 "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام" قال ابن الفضل الحدثي أن المقصود هنا هو المسيح الذي سيأتي يوم القيامة على الغمام وهو المقصود بقوله "وجاء ربك والملك صفاً صفاً"[#].

الحقيقة أنني وجدت أكثر مما كنت أطلب أو أريد وقد لا يتسع المجال هنا لذكر كل ما توصلت إليه فقد أعددتها في بحث منفصل تحت عنوان "حتمية ألوهية المسيح" ذلك أنني بعد أن انتهيت من البحث ووجدت ما وجدت غيرت العنوان من "لاهوت المسيح" إلى حتمية لاهوت المسيح وختمته بعبارة تقول: إن لم يقل النصارى أن المسيح إله لكان لا بد وأن يكون إله".

أما بخصوص الشق الثاني وهو موت المسيح كفارة عن الخطاة أو ما يسمى بالموت الكفاري، وهو ما كنا نرفضه عملاً للآية التي تقول "ولا تزر وازرة وزر أخرى" إذ كيف يموت من لم يرتكب ذنباً عن آخرين أخطأوا هذا إلى جانب المعضلة الكبرى وهي هل حقاً مات المسيح، لا أدري سبباً لشعوري بالثقة في إمكانية ألا أجد ما يؤكد موت المسيح وكنت متفائلاً جداً لأنني لن أجد ذلك وبالتالي أكون قد أرضيت ضميري وبحثت ولم أجد وعليه فتمسكي بالإسلام سيزداد أكثر وأكثر لذا اندفعت بكل حماس وقوة عسى أن أعوض ما وجدته من دلائل لاهوت المسيح في إثبات أنه لم يمت ولا يجوز أن يموت نيابياً، فوجئت وأنا أبحث عن الموت الكفاري بما قرأته في تفسير ابن كثير لسورة البقرة وخاصة الآية التي تقول "وإذ قال موسى يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم..". إذ وجدت نصاً صحيحاً بخصوص هذه الآية فيه أن بني إسرائيل أرادوا أن يتوبوا عن خطيتهم بعبادتهم للعجل فلم يتب الله عليهم، وبعد توسط موسى طلب الله من موسى أب يبلغ بني إسرائيل أن السبيل الوحيد للتكفير عن خطيتهم هذه هو أن يقتل كل رجل أو شاب من بني إسرائيل كل من يقابله، ولا تأخذه به شفقة، وقيل كانوا يضعون عصابات على أعينهم حتى لا تأخذهم شفقة بذويهم فيمتثلوا لحكم الله ويقتل كل منهم الآخر، ويقول ابن كثير أنه قد وقع ما لا يقل عن سبعون ألف قتيل،

[#] نفس المرجع ونفس الصفحة

حتى اكتفى الله وكانت الدماء تسيل كالأنهار فأمر الله موسى أن يطلب منهم الكف فقد قبلت توبتهم وأما من بقي حياً فقد كفر عنه بدم من مات حتى ولو لم يكن قد عبد العجل معهم، أي هناك شخص لم يعبد العجل مات لتتحقق كفارة من عبد العجل ولم يموت، إذن فلماذا نرفض أن يموت المسيح الذي بلا خطية عنم أخطأ وما زال حياً فالأميرين سواء، أحسست وكأن الله يطاردني بالأدلة ويفرض علي حصاراً بحيث لم يعد أمامي من سبيل لإنكار أو رفض دعوة المسيح لي لأتبعه، حتى موت المسيح وجدت الكثير من النصوص تناولها ابن كثير في تعليقه على آية النساء 157، والآيات الأخرى التي تكلمت عن موت المسيح في آل عمران حتى أن الاختلاف كان يدور ليس على موت المسيح بل على مدة موته فمنهم من قال ثلاث ساعات ومنهم من قال يومين ومنهم من قال يوم واحد، وهذا حسب قواعد اللغة يؤكد وقوع الموت، وإزاء ذلك كله كنت أزداد غيظاً وتألماً لأنني وددت لو لم أجد شيء يبرهن على صحة الفكر المسيحي لا شيء إلا لعزة نفسي وتفاخري وكراهيتي لهم، لكن هذا أمر الله لا مفر منه، لكن كيف وكيف نفسي مع هذا الواقع الجديد؟ لا أدري. لم انقطع عن القراءة في الإنجيل وأصبح لي صديقاً وكننت في كل مرة أكتشف حلاوته أكثر فأكثر، وذات مرة وأنا أقرأ فيه تسمرت عيناى على نص يقول: متى صليت فأدخل إلى مخدعك وصل لأباك الذي في الخفاء فهو يجازيك علانية، وكذلك حديثه عن المرآتين الذين يصلون في الأزقة والطرقات والحواري وقلت: عجيب أمر هذا الكتاب هل يجول في الشوارع ويكتب ما يحدث الآن منذ ألفي عام، وبسرعة تذكرت أيام أن كنت أسجد على جبھتي وأضع شيئاً صلباً تحتها حتى تبرز ما يسمى بالزبيبة في جبيني أتفاخر بها بين الناس، وكيف كنت أتباهى بصومي وتسبيحي وتعمد ارتداء ثياب محددة لتدل على تديني، وعلى نفس الوتيرة قمت بالبحث عن موت المسيح وصلبه، وهل حقاً مات أملاً، ودرست ما يعرف بالموت الكفاري ووجدت أكثر ما تناولته الكتب المسيحية بخصوص هذا الموضوع، وفي نهاية الأمر أصبح عندي شبه اقتناع عقلي بلاهوت المسيح وصلبه، وقد يعتقد البعض أنني كنت مسروراً بما وجدت، كلا، لقد كنت غاية في الضيق والضجر والتوتر وتمنيت لو أماتني الله قبل أن أكتشف أنني طوال الفترة الماضية من عمري

كنت أطارد سراب لا أساس له من الصحة، كان صعباً علي أن أكتشف أن النصارى الأذلاء، المحنقرين، ال..، ال..، على صواب وأنا مخطيء، كنت لا أنام، أسير بالشارع أتحدث مع نفسي، تطاردني الأفكار أينما سرت، سيطر علي شك رهيب خاصة عندما كنت أتوضأ لأصلي، فكان أول رد فعل لي إزاء ذلك أن طلبت من الأخوة الذين كانوا يترددون علي ألا يكثرُوا من زيارتي بدعوى مراقبة الأمن لي، وبالتدريج انقطعت علاقتي بهم، كنت أشعر بالنعاس كلما حاولت أن أقرأ القرآن كعادتي كل يوم، وفي نفس الوقت كنت لا أمل من قراءة الكتاب، لا أخفي أنني تعلقت بالكتاب جداً واتضح ذلك عندما زارني الأمير آخر مرة ولم يجدني قد أنجزت شيئاً في البحث، فقال: قدر الله وما شاء فعل، هات الإنجيل سوف نبحت عن شخص آخر يقوم بذلك بدلاً منك، لأنه يبدو أنك غير مؤهل لذلك، كان من الطبيعي أن أسر بذلك لأن هذا ما كنت أتمناه، لكن الآن تغير الحال وطلبت منه أن يمهلني شهر آخر وإلا لسحب البحث مني لأنني استطعت أن أضع يدي على بداية الطريق، والحقيقة هي أنني لم أكن أريد أن أفقد الرخصة في قراءة الكتاب المقدس، ولا أن أفقده أيضاً، وافق الأمير على هذا الاقتراح، ولا أدري لماذا فعلت ذلك، كان يمكنني أن أوافق على سحب البحث مني لأريح نفسي من التفكير والمصير المجهول الذي أحفر مساره بيدي، كنت كلما هممت للصلاة أسمع وكأن هاتفاً يقول لي كيف تصلي لإله لست متأكداً من وجوده؟ فانخرط في البكاء، وفي مرة من المرات التي استطعت أن أقاوم وأقرأ القرآن، لفت نظري آية في سورة العنكبوت تقول: " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنة بالذي أنزل إلينا والذي أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" وحاولت أن أتمعن فيها أكثر فرجعت إلى ابن كثير والقرطبي وكتاب الكشاف للزمخشري لأرى ماذا يقولون في هذه الآية، فأول ما وجدت أن الجميع قد قالوا أنها نسخت بآية السيف الشهيرة التي في سورة التوبة، لكن لفت نظري ما هو أكثر من مجرد النسخ إذ الآية تقول إن إلهنا وإله أهل الكتاب واحد، وهنا توقف عقلي عن التفكير؛ إذ أن إلهنا نحن المسلمون قد نسخ كل أنواع المهادنة مع غير المسلمين من الناس واستبدل مكانها القتل والمضايقة والإيذاء، حتى أنه في بعض الآيات يجعل الله عذابه لهم عن

طريقنا" قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم" وهناك أكثر من 27 نص يتكلم عن القتال الواجب على المسلم نحو غير المسلم، في حين إله أهل الكتاب يقول: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" ويقول أيضاً: لا تقاوم الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً"، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، وأخذت أحدث نفسي أين هذا من قول الله: ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، وقوله لا يكن أحدكم إمعة يؤخذ حقه ولا يبالي، ومن قوله أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وقوله من مات دون ماله فهو شهيد، وقوله: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم"، حقاً يستحيل أن يكون الأبيض والأسمر واحداً ويستحيل أن يكون الخير والشر واحداً ويستحيل أن يمكن الليل والنهار معاً، لا بد لأحدهما أن ينفرد بذاته، وعليه لا بد من أن يكون هناك إله واحد فقط وأنا واثق إنني سأتوصل إليه لأنني أحب الله ولن يمنعني مخلوق من الإيمان بالإله الحقيقي حتى ولو كان عند اليهود، لكن أريد مساندتك يا رب، لا تتخلى عني فأنا الآن غريب مشتت الذهن لا أدري أين أنت، وإن كنت خُذت فليس عن قصد أنت تعلم كم أحبك، وكم تألمت من أجل محبتك، يا رب أن كنت تقتص مني معصية عملتها فأسألك الرحمة في قضائك، فأنت الإله وأنا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت أعترف بذنبي فاغفر لي ولا تقسوا علي في عقابك، وبدأت ترد على خاطري أفكار غريبة كنت عند مجرد استعادتها أمام ذاكرتي أشعر بالرهبة والخوف والفرع، إذ قلت إنه لا يمكن أن يكون القرآن كلام الله والكتاب المقدس كلام الله أيضاً لا بد لأحدهما أن يلغي وجود الآخر، عندما تطرقت لهذه الفكرة انتابني شعوراً بالرعب والخوف وكلمة سمعت صوتاً اعتقدت أن الله سيدمر البيت فوق رأسي لأنني أفكر هكذا في القرآن، وبدأت حياتي كأصعب ما يكون، كانت تلك الفترة أشد علي من فترة سجنني بالقلعة وتعذيبي هناك، لكن سرعان ما بدأ هذا الشعور يتلاشى وقررت أن أعيد دراسة القرآن من جديد لأبحث عن كل جانب من جوانبه وأضع الآية التي تقول: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً" وسأكون محايداً جداً، والحقيقة أنني لم أكن محايداً إذ تمنيت لو لم أجد شيئاً في

القرآن يقودني للتصديق بأنه ليس من عند الله، كانت بداخلي مرارة تجاه المسيحيين قد أقبل كل شيء لكن ألا أكون مسيحياً وتمنيت لو أن الإنجيل هذا لم ينزل على المسيحيين، كانت كلمة مسيحي تثيرني وتولد بداخلي رغبة شديدة في الانتقام والعدوان تجاه كل ما هو مسيحي، ولم أدر سبب هذا الشعور الذي تملكني؛ ربما بسبب النشأة التي نشأت عليها وسط أسرة متدينة تحب الإسلام وتكره المسيحية بسبب تصورها على أنها كفر وشرك، حتى أن آباءنا كانوا يحذروننا في طفولتنا من اللعب مع المسيحيين لأنهم خونة وألا نأكل طعامهم لأنهم من الممكن أن يضعوا لنا السم في الطعام، هم لا إله لهم ولا إيمان ولا أمان لهم.

بدأت أدرس القرآن دراسة دقيقة وعميقة وبدأت تبدوا لي أمور ذهلت عندما وصلت إليها وتعجبت لماذا لم أدرك ذلك من قبل؟ قمت بإعداد بحث تحت عنوان "هل القرآن كلمة الله؟" استغرق مني هذا البحث قرابة الستة أشهر، في خلالها زارني الأمير في وقت مفاجئ لم أكن أتوقعه، وكنت في دورة المياه فاستأذن من والدتي ودخل غرفتي لأنه كان معروف عند أسرتي إذ قضينا سوياً فترة الاعتقال وكانوا يرونه معي في كل زيارة، اعتقد الأمير عندما شاهد الأوراق المكتوبة مبعثرة هنا وهناك أنني قد أنهيت جزءاً من البحث المطلوب مني وسمعته يقول: بارك الله فيك، هكذا تكون الرجال، إن نظرتي لا تخيب، لقد قلت أنك الوحيد القادر على عمل ذلك، فقلت في نفسي، إنك لا تدري ما تحويه هذه الأوراق، وخرجت لملاقاته فإذا وجهه قد تغير إلى الحمرة وبدا مضطرباً فجذبني من ياقتي قائلاً: ماذا أقرأ؟ هل أنت كتبت ذلك؟ مش معقول أنت.. من ضحك عليك؟ من خدعك؟ من أغراك لتبيع دينك؟ قلت له: لو كانت هناك خديعة فأنت صاحبها ولو كان هناك إغراء فأنت صاحبه، ولو ارتكبت إثماً فهو عليك؛ لأنك أنت الذي دفعتني لذلك كله، اعتذرت إليك ولم تقبل عذري، كنتم تعرفون كراهيتي للمسيحية والمسيحيين وأصررت على أن أكون أنا من يقرأ كتبهم، أقسم لك أنني أتمنى لو أن كل ما عرفته يكون خطأ لقد عشت معك أقصى وأصعب فترات حياتنا أليس كذلك؟ قال نعم. قلت هل كنت تلاحظ علي شيئاً؟ قال: لا. قلت إذن فاعذرنى؛ الأمر ليس بيدي ولا مجرد معلومات لكنه يتعلق بقلبي الذي لا سلطان لي عليه، يا ليتك تقرأ ما قرأت وتعلم ما علمت؟ فانتفض هائجاً وأراد أن يمزق الأوراق

المكتوبة (ألوهية المسيح، القرآن ليس كلام الله)، دار بيننا شجار جاءت والدتي على أثره وغادر منزلي قائلاً: نحن قد علمنا ما بك لكن لي طلب إن كنت تريد أن تبقى حياً. قلت: ما هو؟ قال: المجموعة التي أنت أميرها عساك أن تخبرهم بشيء من السموم التي تكتبها، وأنا سأقول إنك قد ارتديت ولن أفصح لهم عن السبب، وأحذرك لو حدث منك شيء غير هذا فإنك أفضل من يعرف ما ينتظرك. قلت الحقيقة التي تجهلها أنت هي: أن الأوضاع تغيرت والأيام غير الأيام، وأنت خير من يعلم ذلك، بصراحة أنا لا أقبل تهديد لسبب واحد هو أنك لن تقدر على شيء مما تهددني به، ولعلمك لقد دفعتني أمانتي أن أطلب ممن معي ألا يزوروني هذه الأيام لأنني خشيت أن أستمع أعلمهم شيئاً أنا أشك في صحته ولذا صرفتهم عني لأنني كنت أميناً معهم، لكن أؤكد لك أنني أحب الله وادع لي أن يعيد الله لي صوابي إن كنت قد فقدته، انخرطت في بكاء شديد واسترجعت الذكريات الجميلة لحياتنا معاً في السجن والمعتقلات، وكيف كنا نتحمل الصعاب معاً والحقيقة عز علي كل ذلك لكن إن كانت تلك إرادة الله فوداعاً لكل ذكرى طيبة بعيداً عنه وأهلاً بالأشواك إلى جوار الله، بدأت الجماعة من خلال الأمير تقطع كل صلاتها بي حتى الذين كانوا يقابلونني يومياً لا يسلمون علي فعلمت على الفور أنني قد تم تكفيري، ولم يكتفوا بذلك بل سحبوا مني المبالغ التي كنت أخذها من بيت المال لأنفق على نفسي منها، ولم أتأثر، لقد تصوروا أنني سوف أضيق بتصرفهم وسأعود إليهم تائباً. هم لم يفهموا ما كان بداخلي، كنا معاً قد اشتغلنا في ما يشبه توظيف أموال، اشتركت أنا والأمير وشخص ثالث بالأموال التي عدنا بها من الخارج وكنا نتاجر في الملابس الجاهزة، وكنت أنا مسؤول الاستلام وتوقيع الشيكات لدى التجار الذين نتعامل معهم، ولما حدث ذلك مني لم يسددوا المبالغ المطلوبة وأصبحت أنا مطالب بسدادها، ورفعوا علي قضية بالمحكمة، وتوقعوا من كل ذلك أن اعتذر وأتوب عن كفري، وقالوا لي صراحة في المحكمة (الأمير فقط) إذ اقترب من القفص وقال نقدر أن نسحب القضية إذا راجعت نفسك وتبت إلى الله وأخبرتتنا من أثر عليك لتسلك هذا السلوك، كنت لا أجابهم، وحكمت المحكمة بأن أرد المبلغ على أقساط قيمة كل قسط 160 جنيه، وكانت تلك ضربة قوية لهم إذ أنهم كانوا يهدفون لحبسي، ومررت التجربة

بسلام والحمد لله لكنني أخذت أكلم الله بحدة وبثورة وأكرر "لماذا يا رب تفعل ذلك معي؟" هل خصصت العذاب لي وحدي. منذ الصغر وأنا أقاسي وأتحمل المتاعب، لم يعد لي صديق لأنهم كفروا بك، فقدت مودة أهلي لأنهم لم يقبلوك، فقدت دراستي لأنها كانت عائق بيني وبينك، والآن لا أدري ماذا خبئت لي في جعبتك من الآلام، من فضلك ترفق بي، هون عليّ فأنا ضعيف لا حول لي ولا قوة، لا تتركني في هذا البحر الهائج حيث تتخبطني الأمواج ولا أدري لأي شاطئ تقودني، قل لي أين أنت؟ هل أنت الذي تقول عنه النصارى أم أنت إله موسى أم أنت إله محمد، وإن كنت كذلك لما سمحت لي بكل هذا القلق في حياتي ليعكر علي صورتك الشفافة، أرجوك يا رب لا تتركني وحدي وأنا أعذك أن أتبعك أينما كنت لأنني لا أخاف سواك وأنت تعلم ذلك علم اليقين، ولم يقطع عليّ مناجاتي هذه سوى صوت والدتي تطلب مني أن آخذ الطعام، لأنني لم أكن أكل معها لأنه لا يجوز لي أن أكل مع مشرك وكانت والدتي كذلك.

تطرقت بعد ذلك إلى موضوع غاية في الخطورة والأهمية ألا وهو إذا كان القرآن ليس من عند الله إذن فمن يكون محمد هذا؟ حتماً لا بد وأن يكون كاذباً في ادعائه النبوة، لكن كيف أثبت ذلك، وبمجرد أن حدثتني نفسي بذلك ارتعبت رعباً شديداً وقلت مش ممكن؛ محمد ليس بنبي؛ طيب معجزاته وإمبراطوريته التي كانت مترامية الأطراف، وكل هذا الكم من الناس الذين اتبعوه، كنت أشعر وكأنني على وشك أن يحل عليّ انتقام الله الشديد ويحيط بي عذابه، لكن بعد أن هدأت ثورتي هذه بدأت أشعر بشجاعة وعزيمة نحو ضرورة أن أبحث في من هو محمد؟ وهل هو نبي أم لا؟ كانت دلائل نبوة محمد تركز على عاملين أساسيين هما أنه أمي ونزل عليه القرآن، وأنه كان قبل النبوة معصوماً ولم يرتكب منكراً قط.

الأمية: لم يكن في اعتقادي أن أجد ما يدل على أن محمد كان يقرأ ويكتب لأن كل الذي أعلمه وتعلمته أنه يستحيل أن يكون محمد يكتب ويقرأ، هذا دفعني لقراءة كتب السيرة مرة ثانية والحقيقة وجدت أمور تعجبت كيف كانت تمر عليّ من قبل ولم أدرك ما فيها، وجدت أن محمد كان يخلو في نفس المكان الذي كان يجلس فيه ورقة والنضر بن الحارث وعمرو بن نفيل وابن ساعدة، القس المشهور، وجدت أن محمد

كان يتاجر بأموال خديجة الكثيرة وأنه قد أبرم عقود واتفاقيات مع تجار اليمن والشام، وما يقال عن أنه كان يحمل خاتم يوثق به اتفاقاته، غير صحيح كدليل على أميته لأنه فعلاً كان لديه هذا الختم وإنما هذا كان شيئاً متعارف عليه في أمور التجارة، أن يكتب البائع والمشتري الاتفاقية ثم يطبع عليها بالخاتم للتوثيق وهو ما يشابه ختم شعار الجمهورية الآن، وجدت أنه بعد النبوة كتب صلح الحديبية بيده، وجدت أنه كان في كفالة عمه أبو طالب وكان أكبر من علي وكان علي يقرأ ويكتب ومن الصعب ألا يتعلم محمد من علي أمور الكتابة حتى ولو القليل منها، وجدت أن محمد كان يجلس عند يسار النصراني ويأخذ منه نصوص من الإنجيل ويقرأها، وجدت أن جبريل عندما نزل عليه طلب منه أن يقرأ ولم يكن من المنطقي أن يطلب من محمد أن يقرأ وهو لا يعرف القراءة، ولو أضفت إلى ذلك ما وجدته عند البحث عن صدق نبوته الذي قادني لذلك كله فيصبح محمد لا نبي ولا صديق، ويمكن دراسة البحث المنفصل عن هذا الموضوع في كتيب أعدته تحت عنوان "محمد في التوراة والإنجيل".

ثم نأتي إلى مسألة عصمته، هنا حدث ولا حرج وأي كتاب من كتب السيرة مثل السيرة الحلبية والطبقات الكبرى، وسيرة ابن هشام حتى كتب التفسير التي تكلمت عن آية سورة النحل التي فيها "ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منها سكرًا لكم" هناك عدة أحاديث صحيحة تقول إن محمد كان يشرب النبيذ، ويوصي صحابته أن إذا وجدوه شديد التركيز أن يكسروه بالماء، وكان يأكل من الذبائح التي تذبحها قريش عند الكعبة على الأوثان، وكان يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله، وكان يطمع في نساء أتباعه إن استحسن منهن شيئاً كما حدث يوم خيبر عندما وقعت صفية بنت حبي بن أخطب في سهم عبد الله بن عمر فأخذها منه وتزوجها، وكذلك زينب بنت جحش زوجة زيد، كل ذلك أزال الصورة البراقة وهدم الهيكل المقدس الذي كنت أضع فيه الرسول، ولا أخفي أنني كنت أتألم كلما اكتشفت شيئاً من هذا القبيل. رغم كل ما وصلت إليه لكن للأمانة كنت تواقاً لأن أجد ولو القليل الذي يعينني على أن أبقى مسلماً لأنه الدين الذي رضعته في طفولتي، كنت مجرد التفكير في تركه يقلب حياتي إلى جحيم وخوف ورعب، كنت كلما وجدت شيئاً أو قرأت نصاً في

الكتاب المقدس ذو معنى حسن، أزداد حقداً وحسداً وغيظاً على المسيحيين وتزداد قسوتي عليه ولا أدري السبب، وكان لي زميل يعمل معي فكلما وجدت شيئاً في الإنجيل ذهبت لأخرج كل غيظي فيه أتلف له متعلقاته الشخصية، أذفع للآخرين فلوس لكي يكيدوا له ويشتكونه للسلطة العليا، ومرة أحرقت له ملابسه حتى اضطر للعودة لمنزله بملابس العمل، كنت أقف أمام أحد المحلات التي يمتلكها رجلٌ مسيحي وأحذر الناس من الشراء منه قائلاً: إن بضاعته منتهية الصلاحية لا تشتروا منه إنهم مخادعون ويريدون أن يدمروا الإسلام، إنهم كما قال القرآن: "لا إيمان لهم" حتى أن هذا الرجل المسن كان يقول لي: يا بني ماذا فعلت لك؟ حرام عليك عندي أولاد أريد أن أربهم"، وتارة أخرى أحذر زملائي من السلام عليهم وأذكرهم بحديث الرسول لا تسلموا على أهل الكتاب ولا تردوا عليهم السلام وضيقوا عليهم الطرقات، وأقول بصوت عال: هؤلاء خبثاء يتظاهرون بالحب وهم أشد عداوة لله وللمؤمنين لا تتخذوا بما ترونه عليهم من مسكنة إن ذلك إلا تصديق لقول الله "ضربت عليهم الذلة والمسكنة"

وذات يوم حافل بمثل هذه التصرفات أحسست بهاتف داخلي يقول لي: كن صادقاً مع نفسك، هل بعملك هذا ستقدر أن تزيل كل ما علمته من كتبهم؟ أنت قلت أنك سوف تتبع الله أينما كان فلماذا كلما أضاء الله لك نوراً تحاول أن تطفئه بيدك؟ كن أميناً مع نفسك حتى تستريح؟ راجع نفسك هل تريد الله أم ماذا تريد؟ الأمر ما زال في يدك ولا أحد يفرض عليك شيء، رجعت إلى المنزل مهموماً، حاولت أن أصلي لكن لم أقدر، قرأت في الكتاب المقدس في إنجيل متى ووقعت عيناى على الصلاة التي علمها المسيح للتلاميذ وحفظتها، وفجأة شعرت ببرود وهدوء غريب ينسكب عليّ أشبه بمن يسكب ماءً ليغسل من ذاكرتي شيئاً ما، وقلت لنفسي: يا رب هل تقدر أن تجعلني على ما أرى المسيحيين عليه من هدوء وصبر وتحمل وبساطة ومحبة إن أنا صليت كما هو مكتوب في الإنجيل؟ وشعرت بسعادة بالغة وكأني سمعت الرد يقول لي: نعم، تهلل وجهي فرحاً وأخذت أنتظم في الصلاة الربانية، أقوم في الفجر في مواعيد الصلاة التقليدية التي تعودت عليها وأتوضأ وأبسط السجادة وأقف وأقول: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك

على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين
إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير "وفي النهاية أقول: السلام عليكم
ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله" استمررت على ذلك كثيراً لكن لم أجد تغير إذ
ما زلت عدوانياً مع أسرتي ومع المسيحيين مما جعلني أقرر أن أترك كل الأديان فلا
الإسلام نافع ولا المسيحية نافعة ومن يدري فلعلني بعد أن أقتنع بالمسيحية لفترة ما
يحدث أن أقرأ في كتاب ما فأجد ديناً آخر أفضل وأبقى طوال حياتي منتقلاً بين
الأديان، الأفضل في مثل حالتي هذه أن أعيش مثل ما يعيش الناس العاديين لماذا
أشغل تفكيري بالدين عندما أموت يفعل الله بي ما يريد، لكن هذا لم يكن حلاً وفجأة
طرأت في بالي فكرة قلت إن سبب كل هذه المشاكل هذا الكتاب أي التوراة والإنجيل
فلأمزقه وأسترح، وهممت بذلك وإذا رعشة خفيفة تسري ببطني وهاتف يقول اتركه فقد
تحتاجه، ولماذا هذا بالذات، لقد سبب لك القرآن أكثر من ذلك فلماذا لم تقطعه؟ كنت
إذا ركبت سيارة أقول: يا رب تتقلب السيارة وينجو الجميع إلا أنا، ويا ليت البيت
ينهار فوقي أنا وحدي يا رب إن كنت لا تريد لي الهداية فخذ نفسي، أرحم مما أنا
فيه ، وفي خضم هذه الأفكار والصراعات والهموم ، وكان ذلك في منتصف النهار
أي الساعة الرابعة عصراً في يوم من أيام شهر يونيو كنت جالساً أستعيد ذكرياتي
الطويلة مع الإسلام والجماعات والإرهاب وأخيراً مع الإنجيل والتوراة وما صار من
الأمير تجاهي وأقول: يا رب أنك تعلم أنني في كل هذه الأحداث لم أكن أبحث إلا
عنك فهل من عدلك ومحبتك أن تتركني هكذا، حتى يا رب أن كنت تعاقبني عن
جرم بدر مني فأعتقد أنك قد استوفيت حقي، وأي جريمة تلك التي تستحق هذا
العقاب، أرجوك لا تتركني وحدي في هذا الصراع، وفجأة وجدت باب غرفتي يفتح
فاعتقدت أنها والدتي تحضر لي الغداء فإذا برجل طويل عريض المنكبين طويل
الشعر كثيف اللحية وبجواره عمود من نور أبيض فاقع كالضوء المنبعث من لمبة
النيون ولم أقدر أن أتطلع إليه أو أوجه نظري نحوه وصوت يناديني قائلاً: قم اعتدل
المسيح يريدك، ولم أشعر بنفسي إلا خارج الغرفة أنا على والدي ووالدتي وأخوتي
ليروا المسيح (سيدنا عيسى) لأنه مكتوب في البخاري من رأى نبياً فقد رأى هدىً لأن
الشياطين لا تتمثل بالأنبياء، فعسى أن رأى أهلي المسيح أن يهتدوا، ثم عدت لغرفتي

ولم أجد شيئاً فحزنت جداً وقلت: حتى هذه المرة لم ترد أن تتصفني يا رب لماذا لم تنتظر لتبرهن لهم عن صدق حديثي، إنهم الآن لن يقولوا أكثر من أنني جننت، وفعلاً نزل كل اخوتي وأهلي وتوجهوا نحو غرفتي فلم يجدوا شيئاً وما توقعته حدث فقالت والدتي: يا رب لماذا كل ذلك، لقد فرحنا بعودته وهدايتك له بالاستقرار وها أنت الآن تصيبه بالجنون وأخذت تبكي وتضمني إليها، ويقول أخي: لا تقلق سأذهب بك لأفضل طبيب نفساني في مصر كلها، وتقول أخواتي: كل هذا بسبب ما تكتبه طوال الليل، هذه نهاية ذلك الجنون، يا رب اشفيه وبعد أن انتهوا جميعاً من مرايهم، توجهت ناحيتهم وقلت لهم: الست أنت فلان؟ قال نعم، ألسنت أنت أمي، وأنت أختي وأنت أخي إني أعركم جميعاً ولو كنت مجنون ما عرفتمكم لماذا لا تصدقوني لقد رأيتك كنور عظيم وتكلم إلي، كان رأيهم أقوى من كلامي حتى أنني قلت: ما دام الأمر كذلك لماذا لا أكون كما قالوا؟ صحيح إن هذا الكلام الذي أقوله كلام مجانيين فعلاً أنا مجنون وعلي أن أستمع وأخضع لهم في كل ما يقولون وبدأت استسلم لكوني مجنون فرقدت في سريري لا أكلم أحد، ويتوافد علي اخوتي يعزوني وأنا لا أنطق بحرف، وفي الصباح اصطحمني أخي بالسيارة وذهبنا لأكبر طبيب نفساني في مصر، ودخلت للطبيب بعد أن نادى عليّ وجلست أمامه وسألني ماذا بك؟ قلت لا أدري أخي جاء بي إلى هنا، قال إن أخيك يقول إنك تقول أنك رأيت سيدنا عيسى؟ قلت نعم رأيت، قال هل تقدر أن تصفه لي؟ قلت وهل رأيت أنت من قبل؟ قال: لا قلت وكيف ستعرف ما إذا كان الذي سأصفه لك هو أم لا؟ قال إن حالتك صعبة وطلب أخي وأخبره أنني مصاب بحالة اكتئاب حاد ويلزمني جلسات كهرباء بسرعة، تبدأ بست جلسات وتتدرج إلى اثنتين، وطلب منه أن يحضرني للمستشفى مرتين في الأسبوع فقال أخي إننا بعيدين عن القاهرة بحوالي ساعتين ونصف سفر ومن الصعب أن نأتي كما تقول، لكن من فضلك حدد لنا كيفية جرائها ونبحث عن طبيب يمكنه القيام بذلك بالقرب من مدينتنا، وافق الطبيب ووافقت أنا أيضاً قائلاً إنني لا أخاف من جلسات الكهرباء فقد أخذتها كنوع من التعذيب بالمعتقل من قبل وبالتأكيد فهي للعلاج ستكون أخف، ولماذا أرفض فلو كنت مجنوناً فسأستريح مما يدور بفكري وإن كان غير ذلك فإني أضيفها مع سابقاتها من ألوان

العذاب التي تحملتها في بحثي عن الله عسى الله أن يرحمني، انتهيت من الجلسات والعلاج الذي قرره الطبيب وتوقعت أن أنسى كل ما كنت أفكر فيه من قبل إن كان ذلك وليد جنون أو توتر نفسي لكن بعد أن أنهيت العلاج وجدت نفسي كما كنت بل مدفوعاً أكثر لقراءة الكتاب المقدس، ولم أكن أهدأ أو أقدر أن أنام إلا بعد قراءة شيء من الكتاب، لكن أخذت على نفسي ألا أحدث أحد بأي شيء فيما بعد، قررت أن أعيش كمسيحي لأرى عمل الله إن كان هذا هو طريقه فبال تأكيد لا بد وأن أرى ثمار ذلك وأرى تأييده لي وإلا عدت كما كنت، كما قلت من قبل كنت أواظب على الصلاة بطريقتي وهي خمس مرات كل يوم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، لم أكن أقرأ شيء مما كنت أقرأه في صلاتي السابقة بل فقط أبانا الذي..، لكن احترت كيف أصلي، كيف أزكي، ما هي الطقوس المطلوبة مني حتى آتي بها كاملة لأكون مستحقاً أن يعمل الله في، لا بد لي أن أذهب للكنيسة لأتعلّم كيف أعبد الله؟ لم يلقي هذا الرأي قبولاً لدي إذ كيف أذهب للكنيسة بهيئتي هذه أو كيف أذهب للكنيسة منزولاً خاضعاً وأنا الذي كنت كذا وكذا لا.. لا.. نؤجل الكنيسة الآن، ويمكنني أن أسأل بعض الأشخاص معي بالعمل لكن من منهم يوافق على مقابلتي بعد كل ما صنعته بهم؟ وفعلاً رفضوا جميعاً الالتقاء بي لأنهم ظنوا فيّ إما أن أقتلهم أو أرغمهم على الإسلام، لكن واحداً منهم وافق لكن بعد شهر، كان ذلك طويلاً علي ففكرت أن أقرأ المزيد عن الأفكار التي يفكر فيها المسيحيين ماذا يقولون وهل هناك كتب لهم كما للمسلمين، أولاً: قررت أن أقصّ لحيتي حتى لا تلفت الانتباه إلي، وأن استعير قميص وبنطلون لأرتديهما بدلاً من الجلباب الذي كنت ارتديه طوال حياتي، وذهبت للمكتبة التي اشتريتها منها الكتاب المقدس من قبل، ولم يعجبني كتاب فيها فذهبت لمكتبة أخرى بشارع الترعة البولاقية وأخذت أتفرج على المعروض من الكتب، وأردت أن أدخل المكتبة لكن ترددت وشعرت أنني أرتعش إذ كيف أدخل مكتبة المسيحيين وأنا كنت لا أطيق مجرد النظر إليها، وربما يطلبون مني بطاقتي ويستدعون الأمن فأذهب للمباحث وبالإضطلاع على ملفي هناك أكون قد ألقيت بنفسي إلى التهلكة، وبعد تردد شديد دخلت المكتبة ولفت نظري بعض الكتب، لم أكن أعرف ماذا أريد أن أقرأ، بل كل كتاب يستهويني عنوانه أشتريه، فأخذت كتاب برهان يتطلب قرار،

وإيماني، وكفارة المسيح، وكنت كلما أنهيت قراءة كتاب أحرقه، وعندما انتهيت من الكتب كلها ذهبت للمكتبة ثانية لأبحث عن كتب أخرى فوجدت كتاب أسمه التوحيد والتثليث، علم اللاهوت الكتابي، وعندما قرأت الأسعار ووجدت أن ما معي من نقود لم تكن كافية حاولت إرجاع الكتب إلى أماكنها ثانية؛ فإذا برجل مسن يأتي إلي ويقول: لماذا أرجعت الكتب؟ قلت لا أريدها قال: لو أنك كنت لا تريدها لماذا أخذتها من مكانها؟ قلت وما دخلك أنت؟ هل تحقق معي لا أريدها، فوضع يده على كتفي وابتسم وهو يربت على كتفي ويقول: يا بني خذ هذه الكتب وسأدفع ثمنها وسأريك عنواني إن أعجبتك فيمكنك إرجاع ثمنها إلي وإن لم تعجبك فيمكنك أن تمزقها أو تتخلص منها كما تحب ولن تخسر شيئاً. فقلت له ما أدراك أنني لا أملك ثمن هذه الكتب؟ قال: الروح القدس، قلت في نفسي ما عسى أن يكون الروح القدس هذا، وأخذت أفكر كثيراً في ذلك، ذهبت معه إلى منزله وجلسنا بضع دقائق وكنت أخشى أن يطلب مني بطاقتي فيعرف شخصيتي فيعتقد أنني أريد شيئاً ما لكن الله سلم ولم يسألني حتى عن اسمي، كنت أقرأ هذه الكتب وغيرها من الكتب إما بالبيت أو أستأجر غرفة في فندق وأجلس طوال الوقت أقرأ؛ كنت لا أريد أن أضيع دقيقة حتى في الأكل أريد أن ألتهم كل كلمة تتكلم عن المسيح أو تؤدي بي ولو خطوة واحدة نحو المسار الجديد للحياة الجديدة التي بدأت تقتحم عزلتي، وكثيراً ما كنت أجلس في مقهى في شارع الترعة البولاقية كل رواده من المسيحيين، أقرأ ما اشتريته من كتب، أحببت تعاليم أو بمعنى أصح أحببت أن أكون كما هو مكتوب بالإنجيل من صفات وخلق لو عشتها بأمانة لأصبحت ملاكاً يسير على الأرض، كان كل تفكيري منصب حول تسائل يخطر ببالي دائماً وهو: هل من الممكن يا رب لو أنني قبلتك وعملت حسب إنجيلك أن تجعلني على صورة أفضل من تلك التي أنا عليها الآن، هل من الممكن أن تخلق فيّ قلباً محباً بدل ذاك القلب المملوء عداوة وكرهية؟ هل من الممكن أن يكون لي أصدقاء حتى ولو لم يؤمنوا بما أنا عليه؟ هل من الممكن أن أحب أمي وأبي وأخوتي حتى ولو لم يقبلوا ما أنا عليه؟ هل من الممكن أن يكون لي أصدقاء أحبهم ويحبونني حتى ولو لم يصدقوا ما أقوله؟ هل تقدر أن تفعل بي ذلك يا رب؟ هل من الممكن أن أحب بلدي وأشعر بالانتماء لها كما أرى كل الناس

يا ليت هذا يحدث؟ لقد كانت أولى الخطوات التي نتبعها في تلمذة كل من ينتمي إلى الجماعة هي أن ننزع عنه أي انتماء سواء للبلد الذي هو منها أو أسرته بمن فيها ولا يكون له انتماء إلى الله ولا ولاء إلى الأمير، لذا لم أكن أصدق أنني يمكن أن أتغير، أو أحب، لقد تركت رؤيتي السابقة للنور والشخص الذي قال لي: قم المسيح يريدك انطباعاً محيراً إنني أعلم أن رؤية أحد من الأنبياء هي دلالة على الهدى لكن أي هدى ذلك في تلك المرحلة هل هو هدى الإيمان المسيحي أم هو هدى الإسلام الذي كنت عليه من قبل؟ كانت تلك الأفكار تزاحم تفكيري حتى أنني لم أكن أشعر بنفسي وأنا أسير في الشارع ألثقت حولي وكان أحد بطاردني كانت تسبقني خطوات ولا أعرف إلى أين أذهب، حقاً كانت مرحلة غاية في الصعوبة، حتى قررت أن أذهب لأحد الكنائس إن كنت أريد أن أحيأ كما يريد الله وكان لسان حالي يقول لقد سمعت الصوت وعليك أتباعه، أنت قد عشت في الإسلام زماناً هذا قدره؛ لكنك لم تعيش يوماً بالإيمان المسيحي لتعرف أيهما أفضل وأقرب إلى الله، ذهبت فعلاً ليس إلى كنيسة واحدة بل إلى عدة كنائس، ولم يكن ذلك بالشيء السهل عليّ، إذ كنت أصارع إبليس كلما قررت دخول كنيسة من الكنائس فيقول لي: أهكذا تدنت حالتك يا.. تذهب للكنيسة شتان الفارق بين ذهابك اليوم مذلولاً وذهابك من قبل لتعلي كلمة الله، هل نسيت ما فعلته بالكنيسة من قبل؟ هل نسيت هتافك الذي كان يدوي في كل أرجاء الكنيسة يوم حرقتها أنت وإخوانك، إن كنت نسيت أذكرك، كنت تقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، أين هو الحق الذي عرضت نفسك من أجله للموت؟ لم يعد أمامك إلا الكنيسة، وكر الكفر والشرك، هل ستشرك بالله بعد تلك الرحلة الطويلة من الوفاء والإخلاص لله؟ قم من نومك يا... استغفر الله وتب إليه واشهد ثانية بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قم اغتسل وأرفع عنك تلك الأفكار الشريرة واستعد بالله من الشيطان الرجيم، وبعد فترة أجد نفسي منقاد بلا وعي للكنيسة وكنت أجد صعوبة حتى أنني كنت أشعر أن هناك من يجذبني من الخلف ليمنع ذهابي للكنيسة حتى أنني صرخت بصوت مسموع قائلاً: سأذهب للكنيسة سأذهب للكنيسة مهما كان الأمر ومهما كلفني. كفى ما أنا فيه الآن لم يعد لي صديق، ولم يعد لدي إحساس بأن لي أهل مثل باقي الناس، لم أعرف الرحمة

طوال حياتي، لقد قتلت وسرقت وها أنا اليوم بلا أهل ولا أصدقاء ولا أصحاب ولا أي شيء مما خلقه الله لنا؛ هل من الممكن أن يكون الله راضياً عني بهذه الصورة أي إله ذلك الذي يأمر بالقتل والكراهية والعداوة والبغضاء لكل من لا يقبل ما نقول، ارحمني يا رب أنا مسكين وضعيف أريد أن أعيش ولو لحظات كأني إنسان طبيعي أريد أن أحب بلدي وأهلي وأصدقائي لكن كيف وفي أي الاتجاهين أقدر أن أحقق هذا؟ إذن فلأذهب للكنيسة مهما كلفني حتى ولو كلفني حياتي واندفعت مسرعاً نحو الكنيسة، لكن لم يكن موقف القسيس مني كما كنت أتوقع بل كان صعباً، إذ رفض الاستماع إليّ مما زاد من هجمة إبليس عليّ، لكنني وإن كنت فشلت في أن أقنعه بالاستماع لي فلا أنكر أنني خرجت وبني شيء من الراحة النفسية، ساعدتني على تكرار المحاولة لكن للأسف لم تنجح أي محاولة للجلوس مع أي قسيس لأعرف منه ماذا أفعل لأكون مستحقاً لخلاص المسيح إذ أن النص يقول: من آمن واعتمد خلص، وما كان يشغلني هو كيف أو من؟ ما هو المطلوب مني؟ كيف أصلي، كيف أصوم، كيف أحج، كيف أزكي، وفي آخر مرة خرجت من الكنيسة مهموماً جداً أو كما يقولون أجر أذيال الخزي والعار ويقول إبليس في أذني: لقد رفضوك، إنك تستحق ذلك وسوف يريك الله ما هو أشد من ذلك، لكن لم يستمر ذلك كثيراً حتى سمعت وكان أحداً يكلمني بصوت خافت ويقول: اسمع يا... أنت لا تعبد الناس فلا تيأس من سلوكهم نحوك، لأنك تعبد الله والله لن يخذلك ولن يضيعك أبداً فقط اصبر وتمسك به إن كنت حقاً تبحث عنه؟ ولن تطول أيام تعبك هذه فالله لا يرد من يطلبه ألم تقرأ قوله: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، قلت: (قرأته يا رب إن لم يكن الآن فقد كانت عيناى تطالعان هذا النص الذي كان مكتوباً على جدار أحد الكنائس وكنت أراه كل يوم طوال فترة دراستي بالكلية وأنا أركب الأوتوبيس من المدينة الجامعية حتى الكلية، لدرجة أنني حفظت المكان فكنت كلما قرب المكان هذا أضع يداى على عيني حتى لا أراه)، سلم حياتك لله وهو يتصرف، قلت نعم يا رب أنا أسلم حياتي لك لكن ارحمني مما أنا فيه، علمني طرقتك أنا تائه حيران، كثير ما يحدث لي هذا يا رب. كنت كلما مررت بتجربة مثل هذه أعود وأقرأ في الكتاب فأشعر براحة نفسية غريبة، بعد ذلك فكرت في الاتصال بأحد المسيحيين الذين كانوا

يعملون معي لكنهم جميعاً لم يرحبوا بمقابلتي خوفاً من أن أكون قد أعددت لهم كمين لإيذائهم وبعضهم رفض لأنه اعتقد أنني أريد أن أدعوهم للإسلام، ولكن إن أراد الله شيئاً فلا يمنع أحد، فذات مرة كنت مع أحد المهندسين في زيارة لصديق له وفي طريق عودتنا طلب مني على سبيل السخرية والاستهزاء أن نزور صديق له مسيحي لأنه كان يعلم مدى كراهيتي للمسيحيين واعتقد أنه بهذا يريد السخرية بي، لكنه لم يتوقع أن أقبل ذلك إذ بمجرد أن طلب مني ذلك وافقت على الفور ولكنه كان كل دقيقة يقول لي: إنه مسيحي هل تعلم؟ أقول نعم وأنا موافق على زيارته، فطلب مني ألا أتصرف مع المسيحي بطريقة تسيء إليه فقلت له: لا تخف سأكون عند حسن ظنك، وذهبنا لصديقه المسيحي وكان يعلم عني كل شيء بل طالما كنت اعترض طريقه واثير المسلمين ضده ونتهجم عليه بالسباب طالبين منه أن يسلم، بمجرد أن رأيته أمام شقته ارتعد وأغلق الباب سريعاً فعاود زميلي الطرق عليه ثانية ففتح الباب وقال لزميلي: لماذا جئت بهذا إلى هنا؟ ألم يكفك ما يفعله معنا بالمكتب، حرام عليك إني رجل لا أسيء لأحد. وبعد مناقشات سمح لنا بالدخول وفي شقته لفت نظري كتاب مقدس على طاولة تتوسط غرفته، فأخذته وتصفحته فيه قائلاً هل هذا هو كتابكم المقدس؟ فأجاب بتلعثم وارتباك نعم هذا والقرآن كذلك كله من عند الله وأسرع للمكتبة وأخرج لي مصحفاً وقال: انظر هذا مصحف كله كويس، القرآن والإنجيل والمسيح ومحمد كله كويس، كان يبدو عليه الخوف والفرع مني فأردت أن أقترب منه فإذا به يبتعد كلما اقتربت منه ابتعد هو عني حتى قطعنا الصالون ندور كل منا حول الآخر وأخيراً اقتربت منه إذ لم يجد مكاناً ينزوي فيه فقلت له: لماذا تبعدوا هكذا؟ أريد أن أتكلم معك، مع العلم أن صديقه الذي كان معي قد دخل أحد غرف الشقة ليستريح فقد كانت تربطهما معاً علاقة قوية، وانتهزت هذه الفرصة لأتحدث معه عسى أن يساعدني على بلوغ ما أريد، لكنه لم يتجاوب معي فطلبت منه أن أزوره مرة ثانية وحدي، فقال لا مانع لكن لن نكون وحدنا بل سيطلب بعض أصدقاءه، قلت لا مانع لكن اكتب لي العنوان، كتب لي العنوان وزرته في اليوم المحدد؛ وإذا به قد جمع نصف دسته من الأصدقاء خوفاً مني، تكلمت قليلاً معه ولا أنكر كنت أتكلم كقائد عسكري مهزوم يفاوض المنتصرين كنت أضع رأسي وأنظر أسفل قدمي من

الخجل وأنا فلان الذي كان وكان، ها هو يستجدي من المسيحي كلمات تقوده نحو ما كان يحاربه من قبل، لكن هو سلام الله والرغبة في الخلاص اللذان دفعاني للتنازل عن كل شيء، في سبيل الظفر بدخول ملكوت الله الذي طالما بحثت عنه قديماً وقدمت من أجله كل ما استطعت فلماذا لا أقدم الآن بعد أن اكتشفت أنني كنت ألتهت نحو سراب لا وجود له إلا على صفحات الكتب، أصبح عندي رغبة لعمل أي شيء للوصول لطريق الرب، كان صديقي هذا قليل المعرفة بالكتاب لذلك لم يقدم لي جديداً، وكانت لديه مشاكل عائلية حتى أنني قد سمعت من بعض الناس أنه يفكر في الإسلام ليتزوج مرة أخرى مما أزعجني واحتقرته وشعرت بأنه لن يقدم لي ما أحتاجه، لكن بعد أن تقربت إليه وتكررت زيارتي له توطدت علاقتي به كثيراً وكان يهيئ لي مكان أقرأ فيه بحريتي ولم يحاول أن يفرض فكراً ما علي لأنني كان لي اتجاه واحد محدد وهو الرب يسوع بعيداً عن الفرق والطوائف التي عانيت منها في الإسلام من قبل، لكن قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ لم تدم تلك العلاقة كثيراً، وعلمت أن هناك شخص آخر أكثر منه فقهاً في الكتاب لكن كانت علاقتي به غاية في السوء، فكان كلما طلب مني شيء في العمل أعطه بيانات خاطئة وأحرض الناس عليه بل أمنحهم هدايا كلما أهانوه وأضروه، واستبعدت أن يوافق على مقابلتي، لكنه وافق وطلب مهلة شهر ليفكر وطلب مني أن أعاود الاتصال به قبل أسبوع من مرور الشهر، أحسست أن الدائرة بدأت تضيق حولي فلا كنيسة تريد أن تسمعني ولا أفراد يريدون مقابلتي كانت صورتني عند كل المسيحيين لا تبعث على الارتياح بل لا أكون مبالغاً إن قلت أن من كان يريد تهديد أي مسيحي يقول له سأقول لفلان..، كنت أشبه بالوحش الذي يخيفون به الأطفال، وبعد انقضاء ثلاثة أسابيع من الشهر اتصلت بالرجل ذاك لأعرف هل ما زال على مواعده أم لا؟ لم يكن عندي تليفون وكنت كلما خرجت خارج منزلي أخذت الأوراق التي كتبتها معي خوفاً من أن يضطلع عليها أحد ويعلم ما فيها ويحدث ما لا تحمد عقباه كان لدي كما قلت أبحاث عن لا هوت المسيح، وهل القرآن كلام الله، النبوة ومحمد، هل هو نبي أم لا؟ كنت أحمل كل هذه الأوراق مع الكتاب المقدس في حقيبة بلاستيك، وعندما ذهبت لأتكلم في التليفون من أمام محطة القطار السريع في مدينتي فوجئت بالحقيبة وقد سرقت

بكل ما فيها الكتاب المقدس، الأبحاث، الحافظة، البطاقة الشخصية، لم يتغير وجهي ولم تبدو عليّ علامات الغضب، إذ كنت أملك برودة أعصاب اكتسبته من كثرة احتكاكي بالمباحث ورجال الأمن، لكن كل الذي سيطر على تفكيري وشغلي أمرين الأول: ربما السارق يقرأ ما هو مكتوب ويرسله للأمن ويكون من السهل عليهم الوصول إلى كاتبه من خلال البطاقة وبذا أكون مستحقاً لأقسى العقوبة لأن ما في الأوراق هو تهجم على القرآن وعقوبته الوحيدة الإعدام، لكن هذه النقطة لم تشغلي كثيراً فأنا على يقين أنني عندما تحين ساعتني لن أتأخر ولن أستقدم عنها فنحن ولا محالة أموات ، لكن الذي شغلي وقلب كياني هو وسواس قوي اجتاح تفكيري وسيطر على كل كياني وهو: إن الله يحبني كثيراً وما هو يقدم لي الدليل الواضح القوي على أن سلوكي نحو المسيحية باطل وما هو إلا طريق الشيطان والدليل أن الله قد أزاح من أمامك كل تهجم على كتابه ورسوله الكريم وأذهب عنك السموم من خلال فقدان الكتاب المقدس، لا يوجد دليل أقوى من هذا لتعرف أنك كنت تسير في الضلال، قم الآن ولا تتأخر عن التوبة لله، فإن الله غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً قم الآن اغتسل مما لحق بك من دنس نتيجة تفكيرك الشيطاني وسلوكك نحو الشرك والفسوق، لم يكن أمامي سوى الإذعان لأفكار إبليس الشيطانية خاصة وأن صديقي الذي تعرفت عليه من قبل وكان يسمح لي بزيارته والجلوس عنده فترات طويلة للقراءة؛ عندما علم بأنني فقدت الأوراق هذه ارتعب وملاه الخوف، وطلب مني أن لا أتصل به أو أزوره حتى نرى نتيجة ما قد يحدث بسبب فقدان هذا الورق، كان ذلك بمثابة الخيط الأخير الذي كنت أتعلق به وما هو يقطع مثل البقية، فشعرت أن الله لا يريد لي هذا الطريق وأنني لن أقدر على الصبر في تلك المعركة إذ أنني بكل صدق رغم ما توصلت إليه وما علمته وما لمستته من حلاوة وعذوبة في كلمات الكتاب واجتهادي ومواظبتي على الصلاة "أبانا الذي" باستمرار دون انقطاع لم يحدث في سلوكياتي أو شخصيتي الذاتية أي تغير، إذ كنت مازلت أكن بالحق والحسد على المسيحيين، ولم أقدر على مسامحة أحد ولم أستطع أن أقول لوالدي حتى مجرد صباح الخير كنت أخرج من البيت وعلامات الغضب تملأ وجهي وأتعمد إظهارها أمام والدي وأختي حتى يعلموا أنهم كفار وأنني لا أحبهم، كنت وما زالت

روح التمرد والعدوانية تملأ كياني حتى أنني شككت في مصداقية ما قرأته في الإنجيل، كل هذه وما حدث من فقدان الأوراق اجتمعوا معاً علي في هجمة شرسة ربما لتعطيل عمل الله في، أو لكسر الإرادة التي تولدت لدي نحو محبتي التي بدأت تنمو نحو الإنجيل، ومرة ثانية انخرطت في البكاء الشديد معاتباً الله عما يحدث لي وهل هذا عدل منه أنه كلما قررت أن اخطوا نحوه وتسير الأمور على ما يرام يحدث ما يعرقل ذلك، لماذا يا رب أنت هكذا معي؟ ماذا فعلت؟ إن كنت تعاقبني على ما فعلته في الماضي تجاه المسيحيين فما أنا أتوب وأطلب عفوك وصفحك الذي أنت قد عملته بموتك على الصليب أم أن صليبك هذا ليس إلا كما كنا نقرأ عنه، من أنت حتى أتقرب إليك وماذا يرضيك لأفعله، بنست الحياة إن كانت كما أحيأ أنا، الموت أهون علي، خذ نفسي يا الله، وما دمت لا تريد أن ترضى علي فلأنتحر ولا يضيرني أن أدخل النار بسبب ذلك لأنه إن لم ترض علي فسأدخلها؛ فالأثنين سواء، بكيته كثيراً وتألمت كثيراً، ولم أجد أمامي سوى أن أقوم ودموع عيني كالأنهار تجري على وجهي حتى لفتت أنظار والدتي فأخذت تربت على كتفي وتبكي على بكائي وتسالني ماذا بك يا ولدي فأقول لا شيء اتركوني وحدي لا أريد أن أتكلم مع أحد لقد تكلمت معكم مرة فاتهموني بالجنون ربنا يسامحك أسرع إلى غرفتي، وقمت واغتسلت لأزيل ما لحق ببدي من نجاسة نتيجة التفكير في المسيحية وما اقترفته يداي وأخذت أفكر هل سيغفر الله لي ما قلته على نبيه وما كتبتة عن قرآنه؟ وإذا أنا أشعر وكأن شخصاً يجيب عني قائلاً: أنت لم تتهجم على أحد ولم تتكلم بالباطل فكل ما وصلت إليه ليس من عندك أنت بل هو نفسه تكلم، ووقفت باسطاً سجادتي وأخذت أنطق بالشهادتين حتى أعود إلى الإسلام ثانية وانتصبت لأصلي فلم أقدر أن أنطق بحرف واحد من القرآن ولم أقدر أن أنحني لأركع فجلست واضعاً رأسي بين كفي يدي فترة ثم قمت ولم أنطق سوى كلمات معدودة: يا رب: إن لم يكن بك غضب علي فلا يضيرني شيء، وإن كنت تقتص مني لذنب فعلته فأسألك الرحمة في قصاصك، وإن كنت تقف في طريق هدايتي فليس ذلك من طبعك، يا رب لم يعد لدي قوة لأقاوم ما أنا فيه وإن لم تظهر لي ذاتك فسأضل، إنني أحبك سلكت كما أمرت في السابق وفعلت ما لا يستطع أحد أن يفعله اعتقاداً أن هذا يرضيك، وعندما أريتني نورك

وسمعت النداء أنك تريدني لم أتباطأ فإلى متى تتركني أتخبط في الظلمات، إن كان ما يحدث لي اختبار أعدته لي لتقودني إلى حظيرتك أيها الراعي الصالح فزد من ذلك لأنني بذلك أكون على موعد للقائك. في تلك الليلة نمت نوماً عميقاً لم أنم مثله ليس من أيام بل من سنوات، وقرب الفجر تقريباً رأيت رؤيا في منامي وإذا برجل عريض المنكبين، كثيف اللحية فارح الطول محمر الجبين سبط الشعر ملامحه أجمل ما يكون، وإذا به يمتلكني من منكبي ويهزني بلطف قائلاً: أما زلت تشك فيّ؟ قلت من أنت لكي أشك فيك؟ إني لا أعرفك. قال: أنا من تبحث عنه؟ قلت لا أدري ذكرني قال: اقرأ في الكتاب لماذا لم تقرأ في الكتاب؟ قلت ألم تعلم أنني فقدت الكتاب وكل أوراقك فكيف أقرأ؟ قال: إن الكتاب لا يضيع، قم وافتح دولاك فستجده هناك وباقى أوراقك سوف تعود إليك خلال أسبوع، انتفضت كمن أوقفه أحد بسوط وأسرعت بدون تفكير نحو الدولاك الصغير الذي كان بأحد أركان غرفتي وفتحته وأنا أرتجف فإذا الكتاب الذي فقد بعينه داخل الدولاك فوقفت لحظات أرتعش وتخبط نواجذي كمن كان في يوم قارس البرد، ثم احتضنته كطفل كان غائب عن أمه زماناً ثم عاد، وأسرعت لأدري كيف نحو والدتي لأوقفها وأقبلها بكل فرح وأعلن لها أن ما حدث اليوم لن أسمح لكم أن تقولوا عني أنني جننت، وأخذت أرتمي في أحضانها باكياً وأردد سامحيني يا أماه على كل ما بدر مني تجاهك، كنت أحسب ذلك من الإيمان أم الآن فقد علمت ما هو الإيمان، من فضلك دعيني أقبل قدميك لن أقبل أقل من ذلك، قالت: ماذا حدث لك يا بني أخبرني: قلت سأقول لكى لكن أسألك بكل ما هو عزيز لديك لا تقولي جننت، إني يا أماه قد هداني الله، قالت ومن قبل أين كنت؟ قلت إن الله الذي هداني ليس هو ما كنت أسير في فلكه من قبل. قالت: هل هناك إله آخر؟ قلت نعم، هناك إله آخر يقول لي أن أحبك وأخضع لك، قالت من هو هذا الإله؟ قلت هو المسيح عيسى كما يقول القرآن، قالت: أرجوك يا بني لا تقل ذلك أمام أخوتك فيتهموك بالجنون، قلت حاضر سأفعل لكن هل تصدقيني أنت؟ قالت لماذا لم أصدقك وقد رأيت الدليل أمامي إنك منذ عشرون عاماً لم تفعل معي ما فعلته اليوم أذهب والله لن يتركك لكن تكتم الأمر عن أخوتك، قلت لو تعلمين ما بداخلي يا أماه لعذرتني في كل شيء أريد أن أقف في وسط الطريق وأعلن أن

المسيح هو الله وأنه غيرني، وفعل بي ما عجز إله محمد أن يفعله، فوضعت يدها على فمي لتمنعني من الكلام، ولم أتم بعد ذلك كنت أتوق لضوء النهار لأخرج للناس وكأنني قد خرجت إلى الحياة للتو، وذهبت في الصباح الباكر أنظر حولي وإذا أنا أرى كل شيء جميل وكل الناس طيبون، أخذت أسلم على كل من يقابلني سواء عرفته أم لا، وذهبت نحو البقال المسيحي الذي كنت أسيء إليه فاعتقد أنني قادم إليه لأفعل ما كنت أفعله معه من قبل؛ فأسرع نحو الدكان ليغلقه، فناديت عليه أرجوك انتظر. لا تخف. فوقف متمسراً في مكانه ولم يتقوه بكلمة وإذا أنا أجد نفسي أقبله وأطلب منه أن يسامحني، فلم يكن إلا أن بكى وسمعته يقول كلمات لم أدري معناها إلا بعد ذلك قال: هللوا مجداً لله فقلت ماذا تقول؟ قال ستعرف ما قلت في حينه. وانصرفت وكنت أرى الناس بصورة غريبة حتى أنني شككت أن يكون قد حدث لعقلي شيء، كانت نظرات الناس تلاحقني أينما كنت؛ مندeshين مما حدث لي، حتى زملائي في العمل كانوا ينظرون إلي بتعجب ويضربون كفاً على كف وكأنهم يقولون: ماذا حدث لهذا الإنسان بالأمس كان يبصق علينا وها هو الآن كالحمل الوديع، ماذا يدور في خاطره هل هي مكيدة جديدة يخطط لها؟ كنت أرقب في أعينهم الحيرة تجاه سلوكي الذي تغير 180 درجة لكن لم يكن يشغلني ما يقولون أكثر من انشغالي بالإحسان لكل من أسأت إليه، وكذلك الفرحة العارمة التي ملأت قلبي والوداعة المتناهية، والهدوء، أحياناً كنت أعتقد أنني في حلم جميل لا أريد أن أفيق منه، لكنها هي قوة الله، كنت متعجل الاختبارات التي تثبت أنني حقاً قد تغيرت إلى الأبد وليس وقتياً، وكنت أتفكر في ما قاله لي الرجل الذي رأيته في المنام من أنني سأعثر على الأوراق خلال أسبوع، ومرت الأيام وبدأ الشك يتسلل إلي وكنت أخشى من أن تفسد فرحتي إن لم أعثر على الأوراق وفي اليوم السابق لتمام الأسبوع كنت قريباً من محطة القطار وأردت أن اعمل تليفون، ولم يكن أمامي سوى نفس التليفون الذي فقدت عنده الأوراق والكتاب من قبل فترددت وكنت أتقدم نحو التليفون وأرجع ثانية إلى الخلف حتى لاحظ صاحب التليفون ذلك، فقال: ماذا تريد أراك مترددا هل حدث شيء؟ قلت لا لكن تليفونك هذا أتشاءم منه فقد اتصلت منه منذ أسبوع وفقدت شنطتي وأنا اليوم أريد الاتصال لكن لا أدري ماذا سأفقد، قال هل

الشنطة تلك لك؟ قلت نعم هل لديك معلومات عنها؟ قال: هات علامة وأنا أخبرك أين هي. فقلت أنها شنطة بلاستيك بها مجموعة أوراق وكتاب مثل المصحف وبطائقي وجواز سفري وليس بها نقود إطلاقاً قال: نعم هي كذلك غداً تعال وأنا أخذك عند من وجدها، وفي اليوم التالي تمام الأسبوع ذهبنا إلى قرية في ضواحي القاهرة ناحية الجنوب، وقابلنا الرجل الذي عنده الحقيبة وأعطانا إياها، وفتحها ولم أجد الكتاب، فقلت للرجل إن الحقيبة ناقصة كتاب، قال: والله ما أخذت منها شيء ولم افتحها إلى يوم أخذتها وكان بها أوراق وجواز سفر وبطاقة ومصحف (الكتاب المقدس) ولم أر ما فيها حتى اليوم، فرحت جداً بما قاله الرجل وأخبرته أنني صدقته، لأن ذلك معناه أن الله قد أعاد لي الكتاب بعد أن فقدته، كان سبب سعادتي أنني طوال أيام حياتي الإسلامية لم أعهد أن أطلب من الله أو أن أرى مثل ما حدث هذا، حقاً لقد كان يمثل بالنسبة لي معجزة فوق كل المعجزات، حتى أنني عدت لأحقر نفسي أمام عمل الله هذا معي، فقلت: من أنا يا رب حتى تفعل معي هكذا، وحالاً جاءني الجواب؛ أنا فعلت وسأفعل أعظم من هذا للذين يحبون الله.

كنت أحدث نفسي قائلاً لو سمح الله لي أن يدخلني في اختبار لكي أتأكد من أنني فعلاً تغيرت سأكون سعيداً، وسرعان ما استجاب الله لرغبتني وكانت أول اختبار لي في علاقتي الجديدة بالمسيح: كنا في عملنا نحصل على مكافآت دورية، نتعاقب عليها لكنني كنت فوق ذلك وكنت أجبرهم على أن آخذ من هذه المكافأة شهرياً لأن هذا مال كفار لا يجب العدل فيه وذات يوم حان موعد الصرف، وكان هناك زميل يمر بظروف قاسية في منزله وجاء للمدير المسؤول يطلب منه أن يمنحه المكافأة هذا الشهر ليخرج من ضائقته هذه، فقال له المدير: إن الكشوفات قد وضعت وبقية زملاءك هذا دورهم وكلهم عندهم ظروف مثلك أما بخصوص فلان.. فلا نقدر أن نمنع عنه المكافأة فأنت تعرف أنه إنسان شرير ونحن نتقي شره، في تلك اللحظة دخلت مكتب المدير ووجدته يتهامس مع زميلي فقلت على الفور: ماذا تقولون بنعمة هادئة، أتحدثون عن المكافأة؟ قال المدير بسرعة وارتابك: أيوه لكن أنت لا تخف فأسمك مدون في رأس الكشف، فقلت إذن فماذا يريد فلان.. قال هو يريد أن نضع اسمه في الكشف هذا الشهر لكن اعتذرت له، قلت ولماذا اعتذرت له؟ يمكنك أن

تضعه بدلاً مني، اعتقد المدير أنني اسخر منه فقال: قلت لك إن اسمك في رأس الكشف ولن يقدر أحد أن يمنعك من المكافأة، قلت لكن أنا أريد أن أتنازل عنها هذا الشهر لزميلي، فقال مش ممكن؛ أنت؟ قلت: نعم أنا، قال كيف؟ قلت هكذا مثل ما سمعت أرجوك احذف اسمي وضعه مكاني ومن الأفضل أن تتنازلوا جميعاً له هذا الشهر، وسمعته يقول: سبحان مغير الأحوال، ماذا جرى؟ القيامة سوف تقوم، فلان.. يتنازل عن المكافأة، مش ممكن، قلت لكن الله قادر على كل شيء يخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة، كانت عيناى مغرورقتان بالدموع من هذا الموقف الذي لم يحدث مثله معي في حياتي، لقد اعتدت أن آخذ ما لي وما ليس لي أما الآن فقد علمني المسيح أن أعطي: كانت فرحتي لا توصف وأنا أشعر بحلاوة وطعم العطاء. بدأ أهلي واخوتي يلمسون هذا التغير فقد كانوا بمجرد أن يروني يغلقون التلفزيون ويهرب كل واحد منهم إلى مكانه خاصة أخواتي البنات، لكن بعد هذا اليوم دخلت عليهم ولم يشعروا بي فأسرعوا نحو التلفزيون ليغلقوه وكل منهم يتهم الآخر بأنه هو الذي كان يستمع إليه، فقلت لهم، مش مهم من الذي فتحه المهم لماذا أراكم مرتبكين وفتحت لهم التلفزيون وقلت لهم شاهدوا ما تريدون لكن البرامج التي تخدش الحياء أرجوكم الا تشاهدوها، قالوا مش ممكن أنت تسمح لنا بمشاهدة التلفزيون قلت ولما لا، لو تعلمون ما في داخلي نحوكم لما صدقتم أنني أحبكم كثيراً وأريد منكم أن تسامحوني على كل إساءة بدرت مني نحوكم، وإذا بي أراهم جميعاً يكون، وكنت كلما خرجت من المنزل وعدت ثانية أقبل والدتي واحضر لها هدية، فم كان منها إلا أن تبكي من التأثر. أشكر الله كثيراً أنها قد توفت وهي سعيدة بي وأنا أشعر أنني قد كفرت عن القليل من إساءتي لها، وعوضتها قليلاً عما بدر مني في السابق وكنت فرحاً جداً بهذا الإله الذي أعاد البسمة على شفاه جميع من بالمنزل مؤمنين وغير مؤمنين.

كان الأخوة المسيحيين الذين ذكرتهم يتابعون أخباري باستمرار لكن ساورهم خوف شديد من أن يكتشف الناس في القرية أمري فيلقون بالتبعية عليهم فطلبوا مني أن أترك مصر وأغادر للخارج لكنني رفضت ذلك بقوة لأنني كان يلاحقني ما فعلته بالمسيح والمسيحيين لذا أخبرتهم أنني قد صليت من أول يوم تغيرت فيه حياتي أن

يساعدني الله لأن أعمل للمسيح بقدر ما أسأت له وأنا أسأت له بمصر فلن أغير مصر، ووعدتهم بأنه إذا تم القبض علي فلن أذكر أسمهم في أي حال من الأحوال، وذات يوم طلبوا مني أن أذهب معهم لكنيسة لم أذهب إليها من قبل، فوافقت وتقابلت مع أحد الآباء هناك وقصصت عليهم ما حدث معي فرأيت الفرحة والبهجة ترتسم على وجوههم من عمل الله، فطلبت منهم المعمودية وتجاوبوا معي وكان ذلك في يوم 1993/5/9، وما زلت أحفظ هذا اليوم لأنني إن كان لي أن أحسب عمري الحقيقي فهو بالتأكيد يرتبط بهذا التاريخ الذي فيه ولدت من جديد.

ثمار الإيمان

إن كنت قد تكلمت باستفاضة عن حياتي قبل الإيمان فمن الضروري والمهم أن أتكلم كذلك عن عمل الله في حياتي بعد الإيمان، لم يكن لدى كل المقربين لدي أدنى شك في أنه يستحيل أن أتغير بهذه الدرجة، ولم يكن أحد منهم يصدق ما رآه بعينه في بعد الإيمان، لأنني إن كنت قد طلبت ذات مرة من الله أن يختبرني لأعرف هل أنا فعلاً تغيرت أم لا، فهنا الله يدخلني في التجارب المتنوعة ليس ليعطيني ثقة في ما حدث لي بل بكل ثقة أقول إنه قد سمح بذلك ليديربي على المهمة الشاقة التي قد وضعها على عاتقي، فأنا لم أختار الطريق الجديد هذا ولم أختار حياتي مع المسيح بل على النقيض كنت أحاول تكذيب ما رأيته، فالمسيح هو الذي اختارني، ولم يختارني اعتباطاً بل بالتأكيد لخدمة أعدها لي وأعدني لها، وهنا سوف أذكر بعضاً مما قابلني من مضايقات وعمل الله فيها.

كنت أعمل في مكتب يضم بالإضافة إلي ثلاثة زملاء آخرين لا نجتمع سوياً إلا نادراً فنجلس فيه بالتناوب، وكل منا يملك دولاب لخلع الملابس ووضع متعلقاته الشخصية به، وذات يوم فوجئت باختفاء بعض الأشياء من دولابي، ولم أشك في

أحد وفي اليوم الثاني تكرر نفس الشيء، وأيضاً لم أشك في أحد وكنت ألقى بالمسؤولية على زوجتي ومرة ثالثة تكرر نفس الموقف فاكتشفت أن قفل الدولار مكسور واختفاء المرتب الذي نسيته بالدولاب، فعلمت يقيناً أن الأشياء اختفت هنا وعن طريق أحد زملائي، وفجأة سيطرت علي روح شيطانية رهيبية وأخذت أسب وألعن بأسلوب الإنسان العتيق الذي كان في قبل الإيمان، وكنت أردد قائلاً: إن كنت قد قبلت المسيح ولرأيتم أني وديع وطيب فلا يعني هذا أن تضحكوا علي وتجعلوني ألعوبة وأقسمت أن أفعل بهم أشد ما فعلوا بي، وقررت بيني وبين نفسي أن أحطم كل الدواليب الموجودة بالمكتب وأخذ ما بها وأحرقهم وأترك كل دولاب مفتوح كما فعل إبراهيم بالأصنام لكي يعلموا مدى ما يشعر به الإنسان إن سرقت متعلقاته، وذهبت وأحضرت شاكوش وأجن لأنفذ ما قررته وأغلقت المكتب بعد أن التفت يميناً وشمالاً لكي أتأكد أن أحداً لم يرني، ورفعت يدي وأنا مملوء غضب وغيظ وقبل أن أهوي بيدي على أول قفل إذا بشيء يمسك يدي وصوت خافت يقول: لا تقاوم الشر، وكن صانع سلام، فالتفت يميناً ويساراً لأجد صاحب الصوت فلم أجد أحداً فقلت في نفسي: لكن يا رب هل يرضيك ما يحدث لي، لكن لتكن مشيئتك اذهب عني الغيظ وأحمد النار التي في قلبي، إني أكاد أفقد صوابي من فضلك يا رب هدئي، وفجأة شعرت بسلام غريب وكأنه لم يحدث شيء، وأسمع من يطلب مني أن أكتب على ورقة من أوراق التقارير اليومية ما يلي: أخي الذي يفتح الدولار إني في غاية الأسف لعدم تمكني من تلبية ما تحتاجه، لكن من فضلك أكتب ما تحتاجه وأنا بمشيئة الله سأحاول تلبية لك، وللدلالة على صدقي لن أستبدل القفل المكسور، وأعلم أن محبة الله لنا نحن البشر فائقة، وأخيراً لك مني سلام الله الذي يفوق كل عقل والرب يحفظ حياتك إلى الأبد: أخيك... وبعد أن انتهيت من كتابة ما سبق وضعت الورقة في الدولار وتركته على وضعه المعتاد وصليت لأشكر الله إذ منعني من الانقياد للأفكار الشيطانية، وعدت لمنزلي في غاية الفرح لأنني قد انتصرت على إبليس ومجرد أن فتحت لي زوجتي الباب حتى أخذت أعانقها وأحكي لها ما تم، فقالت: لا تخف فإن كان الله معنا فمن علينا ومن جهة الفلوس التي فقدت فالكتاب يقول: كنت فتى والآن شخت ولم أجد صديقاً تُخلي عنه، ولا ذرية له تلمس خبزاً إن

الله قادر أن يسد حاجتنا لأنه هو المتكفل بنا، وبعد يومين كانت المفاجئة إذ وجدت أحد زملائي قد حضر في ورديتي على غير العادة، فسألته لماذا أتيت الآن؟ قال أريد أن أتكلم معك. قلت فيما تريد أن تتكلم معي؟ قال أفضل أن نصعد إلى مكتبنا لنكون وحدنا فصعدت أنا وهو وجلسنا كل في مواجهة الآخر، ورأيتة قد نظر بوجهة إلى الأرض وقال: لا أدري ماذا أقول لك، ولا أدري كيف أتصرف، قلت ماذا حدث أخبرني؟ فإذا هو يفتح حقيبة صغيرة ويخرج منها كل الأشياء التي أخذها من دولابي وأنا لا أصدق ما يحدث ليس لرجوع الأشياء، لكن لأنني لم أكن أتوقع أن يكون هو الذي فعل ذلك فقد كان شاباً مصلياً ومتديناً، فقال هذه الأشياء التي أخذتها من دولابك لكن أرجوك لا تخبر أحد، أما الفلوس فلن أستطع أن أردّها لك لأن أولادي كانوا مرضى وبحاجة إلى طبيب، يمكنني أن أردّها لك كل شهر مبلغ، قلت له: خذ كل هذه الأشياء يا ... إنها الآن ملكك إنني لم أكذب في ما قلته لك بالورقة، صدقتي كان الله يعوضني عن كل شيء تأخذه حتى الفلوس أنا واثق أن الله سيدبر كل شيء، ولو لم أكن صادقاً لقمّت بتغيير القفل بآخر سليم، فقال لكن أريد أن أسألك سؤال وتجبيني بصراحة؟ قلت تفضل وهل جربت علي كذب من قبل؟ قال: لا. قلت فما هو سؤالك؟ قال: إنك تتكلم كما يتكلم المسيحيون، الرب، الرب، تلك نفس الكلمات التي أسمعها من جرجس النجار الذي يسكن بجواري، قلت الحقيقة يا ... إنني عندما حدث ما حدث كنت أمام اختياريين الأول: أن أرد العدوان بنفس العدوان، وأن آخذ حقي، عملاً بالحديث من مات دون ماله فهو شهيد، وكذلك: لا يكن أحدكم إمعة يؤخذ حقه ولا يبالي أو بمعنى أصح كان لي حرية الاختيار في الطريقة التي آخذ بها ما أخذ مني، والثاني أن لا أرد العدوان بالعدوان، وألا أقاوم الشر وألا أنتقم لنفسي وأن من أخذ ثوبي فلأعطه الرداء أيضاً، ترى أي الطرفين أفضل؟ قال الثاني بلا شك، قلت وهذا ما حدث مني، أنني تصرفت بما يحفظ العلاقة التي بيننا، ويقوي المحبة، ولا يهم من أين المصدر: الإسلام أم النصراني أم اليهود المهم التصرف السليم، ولو أنني وجدت مثل ذلك في الإسلام لما توانيت عن العمل به فوراً، قال: من أين لك بكل هذا؟ ومن أين جئت بهذا الكلام؟ قلت سوف لأقول لك، لكن ليس الآن لأنك مشدود مما حدث وعندما تستريح وتهدأ بعد يوم أو

يومين أو شهر، ورأيت أنك محتاج لمعرفة من أين جئت بهذا فسأقول لك، وبعد حوالي أسبوعين قابلني في أثناء تسليم المكتب له وقال: الآن قد هدأت وأريد أن أعرف منك مصدر هذا الكلام كما وعدت، قلت له: غداً أقابلك وأقول لك عما تريد، وفي الغد قابلني وسأل نفس السؤال فقلت له: لحظة واحدة وأخرجت له الإنجيل قائلاً: إن كنت حقاً تريد أن تعرف من أين كل ما فعلته اقرأ هذا الكتاب، قال: هذا إنجيل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قلت نعم هو من الإنجيل وأنت لك حرية الاختيار إن أردت أن تعرف خذه وأقرأ وإن لم ترغب فأنت وشأنك، اخذ مني الكتاب وظل يقلبه يمينا ويساراً وينظر إلى باستغراب وأخيراً أخذه وانصرف، وقلت له إن صعب عليك شيء فيمكنك أن تسألني، وظل طوال أسبوعين يأتي بأسئلة متعددة واستمر هذا الوضع طويلاً حتى لاحظت عليه تغير كبير وحب كبير للكتاب، وذات يوم قال إلي: على فكرة، هذا الكتاب هذا فيه بركة عظيمة إذ منذ أن أخذته منك وأنا أجد كل الخلافات التي كانت بيني وبين زوجتي تزول، فقلت له اقرأ أكثر لتعرف ما هو المطلوب منك، استوعب الكتاب بدقة حتى أنه ذات يوم فاجأني بأن طلب مني أن أعلمه الصلاة المسيحية وهياتها، فقلت له ليست لها هيئة معينة، فيمكنك أن تصلي في أي وضع وبأي أسلوب، وبعد ثلاثة أشهر كانت المفاجأة الغير متوقعة فقد جاءني وأخذ يقبلني ويسألني كيف يمكنه أن يتعمد، قبل زميلي الرب وكان سبب بركة لأسرته كلها، فسعدت أنا أيضاً وأحسست أنني قد اختارني الله حقاً للعمل في كرمه، ولأكون من خرافه، ولأكون ممن يصطادون الناس لكن هذه المرة ليس للضلال بل للخلاص والحياة الأبدية، إذ طالما كنت في الماضي أصطاد الناس لأضمهم إلى حظيرة الهالكين فما أجمل أن أعمل مع رب هذا الزمان ومخلصه يسوع المسيح. بدأت أشعر لأول مرة بأنني أحب بلادي وأحب الناس وأحب التسامح والعفو، حقاً أصبحت إنساناً جديداً واستخدمني الرب في اجتذاب نفوس للمسيح وإعادة بعض الخراف التي ضلت طريقها وتركت المسيح إلى حظيرة الأب السماوي.

توالت التجارب والاختبارات التي كانت تظهر لي مع ما عالقاً بي من الإنسان العتيق، وتوالت معها محاربة إبليس سواء من خلال حياتي الروحية أو الجسد كذلك، فذات يوم كنت ذاهباً لزيارة أسرتي وأخذت ميكروबाص من مكان ما إلى حيث تقيم

الأسرة، وسمعت من ينادي على الركاب فأجلسني السائق على كرسي سعته ثلاث ركاب لكن هو جعلني الرابع، وكان بجواري على نفس الكرسي رجل متدين كثيف اللحية وزوجته المتقبة، فبدأ يتصرف تجاهي بطريقة غير لائقة فأخذ يضيق علي المكان ويبسط رجليه بحيث لم يعد سوى سنتيمترات قليلة، فنزلت فسألني السائق لماذا نزلت؟ قلت لا يوجد مكان. قال هذا الكرسي لأربعة أنفر وطلب من الشيخ أن يفسح لي، لكن أحسست أن هذا الرجل لا يريد أن يجلس أحد بجواره حتى لا يضايق زوجته فنزلت ودفعت أجرة الكرسي للسائق وطلبت منه ألا يجلس أحد معهم، وهنا ثارت حمية الرجل فقال لا يا أخي تفضل اجلس، قلت له لا داعي لأن نزاحمك أنت وزوجتك، فأصر على أن أركب فركبت وأفسح لي المكان، وسار بنا الميكروباص بضعة أمتار فإذا بالرجل يسألني سؤال لم أكن أتوقعه، إذ قال لي: هل أنت مسلم أم مسيحي؟ قلت لماذا تسأل؟ قال أريد أن أعرف فقط، قلت أنا مسيحي، فقال: يا خسارة لو كنت مسلماً لكان لسلوكك هذا شأن عظيم، قلت له؟ هل تعرفني؟ قال: لا قلت وأنا أيضاً لا أعرفك، لكن أترى لماذا فعلت أنا ذلك معك؟ قال: لا أدري، قلت إن لدينا نص في الإنجيل يأمرنا أن نحب كل الناس حتى الذين يسيئون إلينا وأنا قد لا حظت كم كنت قاسياً معي فأردت أن أبين لك المحبة التي تملئنا نحو كل من يسيء إلينا فلم أجد سوى هذا التصرف الذي رأيته، قال وهل لديكم كتاب؟ قلت نعم، قال هل تعبدون الله؟ قلت ومن نعبد إذن؟ قال نعلم أنكم تعبدون المسيح والأحبار والرهبان كما قال القرآن، قلت ليس كل ما تعلمونه عنا صحيح؟ وإلا لما كان ما وجدته مني لكن أشير عليك برأيي قال: تفضل، قلت: سوف أعطيك كتاب مقدس بعهديه القديم والجديد الذي هو الإنجيل لتقرأه وترى ما به، فإن أعجبك فهذا خير وإن لم يعجبك فلن تخسر شيئاً، اتفقنا على أن نتقابل في مكان ما وأعطيته الكتاب وكنا نتقابل أسبوعياً، لأرد على تساؤلاته، وبعد ذلك بدأنا نصلي سوياً وبدأ هو يتناقش مع زوجته حتى أنه كان يريد تطبيقها فأخبرته إن هذا لا يوافق فكر الله وصلينا من أجلها واستقر البيت وعم فيه السلام، وقلت له إن المسيحية حياة تجمع الناس ولا تفرقهم فالزوج غير المؤمن مقدس في الزوجة المؤمنة والزوجة الغير مؤمنة مقدسة في الزوج

المؤمن، كان صديقي منبهر جداً بما قرأه في الكتاب ودخل الرب البيت وبناه واستقر
وباركه الله كثيراً.

لا أريد أن أنهي هذه الشهادة لأنها في الحقيقة لا نهاية لها لأنه مادام الرب يعمل فيّ
فالاختبار مستمر لكن خلاصة ما أريد قوله أنني قد وهبني الله تلك الحياة بدون
مقابل بل لو نظرنا للمقابل لن نجد سوى التدمير والتخريب والخطايا، التي لم يعد الله
يحسبها علينا ولا يذكرها لنا فنحن إذن أحرار إن كان الآب قد حررنا فالحياة هي
المسيح أما الموت فهو ربح وهذا الشعور يملأني لأول مرة إذ كان الموت من قبل
يمثل لي شبح مخيف سواء من عذاب القبر أو سؤال الملكين أو.. أو.. الخ والآن
إلى اللقاء في اختبارات جديدة وتعاملات جديدة من الرب الذي لا تضيع ودائعه
آمين.

(الخاتمة)

أبناء إسماعيل يعودوا
ليفتتوا المسكونة